الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

بلاغة الإقناع في الأدب الدعوي دراسة نقدية في كتاب "خلق المسلم"

- لمحمد الغزالي -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: نقد أدبي

إعداد الطالب:
بن سالم مصعب

إشراف الدكتورة:
بن صالح نوال

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
نصر الدين بن غنيسة	أ / دكتور	رئيسا
نوال بن صالح	دكتورة	مشرفا و مقررا
نصيرة زوزو	دكتورة	مناقشا

السنة الجامعية: 1437هـ/1438هـ

2016 م / 2017 م

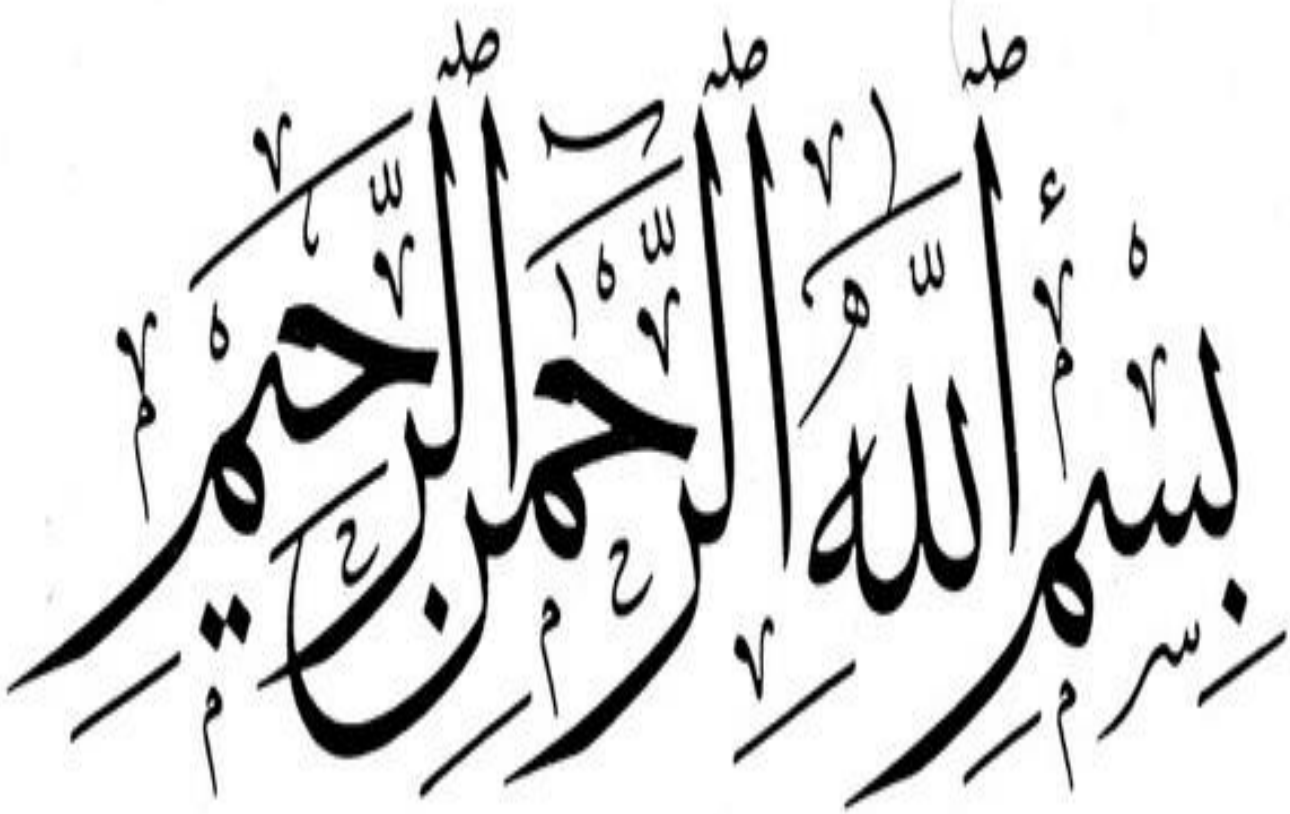
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾

مقـــــدمـــــة

استأثرت البلاغة بنصيب وافر من العناية في الدّرس النقدي العربي منذ القّدم ثم أصاب هذه العناية شيء من ركود ومنذ أكثر من قرن تقريبا بدا السَّعي حثيثا لتجاوز تلك المرحلة،فبدأت حركة التَّأليف نشيطة تسارع الخُطى ، ليعيد الدرس اللُّغوي الحديث للبلاغة وهجها وحياة فقدتها لمدة طويلة، لكنّ ثوب البلاغة الجديد أو لنقل الخطاب البلاغي الجديد ،بوجهيه المكتوب والمنطوق لم يحد عن حُلّة الأجداد،لتضلّ البلاغة ملتقىً لخطابات متنوعة ثقافية،دينية ،اجتماعية ونفسية.

والخطاب الحجاجي موظّف في البلاغة باستمرار،فهو الرّكيزة في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين المتكلم ومتلقيه، ليتضمن بذلك كل وسائل الإقناع والإثارة والتحاور.

ولعلّ كل هذه النقاط مجتمعة قد تضمّنها الخطاب الدّيني و الدّعوي في القرآن الكريم، ثم ليستقي أرباب الخطاب ورؤوس الدعوة مادتهم من رأس البلاغة الأول ،وبين شدّ وجذب بين معين العرب الأول ثم ما لحقهم من الحضارات الغربية من فنون الخطابة و البلاغة و الحجاج ،وما يثار في قضية الإقناع والإفحام والإثارة وكذا استلهام القلوب وضروب أخرى عدت درجات في البلاغة والإعجاز، بين هذا وذاك كانت المؤلفات والمصنّفات والدراسات التّطبيقية، كما تجلى ذلك واضحا في كتب الأصول و العقائد والشروح والتّفاسير و في الخطب والمناظرات.

ولأن الخطاب مفهوم عام يُحيل على أنواع مختلفة باختلاف أشكال التواصل، وما لذلك من تأثير كبير في تحديد الآليات التعبيرية الملائمة لكل شكل من الأشكال، فقد كان لزاما على الباحثين تحديد الآليات أو التقنيات التي يفترض بكل نوع الالتزام بها،حتى يحقق غايته الإقناعية. ومما سبق يمكن طرح التساؤلات الآتية :

ـ ما أهم مدارج آليات و إستراتيجيات الخطاب الإقناعي ؟ ثم ما مكمن البلاغة فيها ؟

ـ وكيف يمكن رصد الحمولة الإقناعية المتعلقة بالطرح البلاغي في الخطاب الدعوي؟

لقد دفعتنا إلى اختيار موضوع بلاغة الإقناع في الأدب الدّعوي: "خلق المسلم" لمحمد الغزالي عوامل ذاتية وموضوعية ،لعلَّ الأولى تتجلى في التّأثر بالموروث البلاغي بكل حيثياته إن صح التّعبير.

وأما ما تعلَّق بالدوافع الموضوعية فهو ذلك الشرخ الحاصل في المادة الدعوية وغياب الأديب المفكر(الأنموذج) ، فان حضر ذوت معالم البلاغة و الأسلوب الراقي في خضم ما يشوب العصر من انحلال وانسلاخ فكان حضور الغياب.

وقد تقاسم البحث منهجان: الوصفيُّ ،عندما يتعلق الأمر بالجانب النظري لأساليب وأهداف الإقناع والحجاج وغيره.والتحليلي البلاغي، حينما يتعلق الأمر بالخوض في الدراسات التطبيقية و استكناه الدلالة الخفية فيها، وقد يكون هذان المنهجان الأنسب في نظرنا لرحلة البحث ، لذا قسمنا البحث على النحو الآتي :

مدخل وفصلان مع مقدمة و خاتمة .

المدخل: جعلناه مهادا نظريا نعود إليه كل ما اقتضت الضرورة، وحاولنا فيه الوقوف على تقصّي مصطلح الإقناع و تحديد المصطلحات الأساس في البحث ، كما جئنا على ذكر شيء من مسير بلاغة الإقناع ثم بعض آلياته وإستراتيجياته.

الفصل الأول: الذي يحمل عنوان" المحاور الدلالية للخطاب الإقناعي"فصل تطبيقي خصصناه لتطبيق آليات الإقناع و بيان بؤر استراتيجياته ثم بيان الحمولة البلاغية لما جاء في بعض ما سقناه من نصوص المدونة .

الفصل الثاني : "وعنوانه بلاغة الإقناع بالأسلوب "أفردناه لتطبيق آلية الحجاج العقلي بعد تعريفها والإشارة إليها ثم تعرضنا لمقام الموضوعية والصورة الأدبية في المدونة.

وبطبيعة الحال أنهينا البحث بخاتمة تلخّص مجمل ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات سيما أن الأمر متعلق بالبلاغة ،وتكمن الصعوبة الأولى في كيفية التَّوفيق بين الطرح البلاغي و الحجاجي لكون الأمر متداخلا بينهما بشدة قد يجعلك تحيد عن الموضوع بسهولة ،ثم كيفية لمّ شتات الدراسات السابقة في الإقناع وبلاغته لأخذ صورة متكاملة تُعين على الاشتغال على هذه الآلية ومحاولة رصدها،وهذه صعوبة أخرى.

أما فيما يخص مصادر و مراجع البحث الأساسية فقد كان اتكائنا واضحا على القرآن وكتب الحديث وكذا على المدونة التي اشتغلنا عليها وهي "خلق المسلم" للغزالي، إضافة إلى بلاغة الإقناع في المناظرة لعادل عبد اللطيف ،وبلاغة الخطاب المكتوب لأمينة رقيق ، و نظريات في أساليب الإقناع في القرآن الكريم لعلي رزق، و بلاغة الخطاب الإقناعي لمحمد العمري وغيرها يضاف إلى هذا كتب تراثية كالبيان والتبيين و مفتاح العلوم وكتب أخرى.

و يعود الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث لتوفيق المولى عزّ وجلّ منير الدرب ومانح العطايا ثم الشكر كلّ الشكر للأستاذة المشرفة نوال بن صالح التي كان لها فضل التوجيه والرعاية لهذا العمل ليصل إلى الصورة التي عليها ،فنأمل أن يكون الحظ والتوفيق قد حالفنا فإن لم يكن فحسبنا الجهد الذي بذلناه والله من وراء المقصد .

مـــدخـــــل

بحث في مفهوم الإقناع وبلاغته

1.مفهوم الإقناع :

1.1لغة.

2.1 اصطلاحا.

2. البلاغة الجديدة: بيرلمان وانبعاث بلاغة الإقناع.

3.آليات الإقناع:

1.3 وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمنيا.

2.3 تقديم الأدلة والشواهد.

3.3 ترتيب الحجج الإقناعية داخل الرسالة.

4.3 استخدام الاتجاهات والاحتياجات لدى الجماهير.

5.3 التكرار.

4. استراتجيات الإقناع:

1.4 الإستراتجية الدينامية النفسية.

2.4 الإستراتجية الثقافية الاجتماعية.

3.4إستراتجية بناء المعاني.

لم تكد تخبو معالم الدرس البلاغي القديم حتى أذاقها شايم بيرلمان (Chaim Perlman) وتحديدا في مصنفه مع أولبريخت تيتيكا (Olbrechts Tyteca) جرعة من الإبداع الذي خوّلها أن تكون حقلا ومجالا للبحث في الدراسات البلاغية الحديثة.

ولا يخفى أنّ البناء اللغوّي عموما يحوي نقاطا وعناصر إذا ما تكاتف بعضها رقاب بعض أخرجت لنا هذا البناء على أتم وجه، وأبهى هيئة، والإقناع هاهنا هو إحدى هذه النقاط والعناصر التي يقوم عليها الدرس البلاغي عموما.

وعليه "ومن نافلة القول أنّ البلاغة تتمحوّر حول الإقناع وهذا هو هدفها الأوحد، تجاوزا ربما للقول الآنف الذكر،(فبلوغ الغاية، وإيصال المعنى إلى السامع والإفهام)[1]،كلها ليس لها من مصب سوى الإقناع" وسيتكفل هذا المدخل بتقديم صورة عن الإقناع، مفهومه وجذوره، آلياته واستراتجياته.

1.مفهوم الإقناع:

1.1/ لغة: الإقناع هو " الرضى بالشيء، وأصله مادة قنع، تقول: قنع بنفسه قنعا، وقناعة، أي رضي."[2]، ويقال: " اقتنع وقنع بالفكرة أو الرأي، أي قبله واطمأن إليه."[3]، "وفي الحديث (عزّ من قنع، وذلّ من طمع.)، لأنّ القانع لا يذّلل الطلب فلا يزال عزيزا، والقناعة بالفتح الرضى بالقسم، قال لبيد بن ربيعة : فَمنهُم سَعيد آخذٌ بنصِيبهِ ومِنهُم شَقيٌّ بالمعيشَة قَانِع."[4]

ويقال " أقنعني كذا، أي أرضاني، وفي المثل: خَيرُ الغِنَى القُنوع، وشَرُّ الفَقر الخُضُوع."[5] وللكلمة معاني أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ

[1] أمينة مرقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، رسالة مقدمة دكتوراه علوم في علوم اللسان العربي، محمد خان، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيذر،بسكرة، 2014/2013، ص106.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، طبعة جديدة، المجلد11، بيروت، لبنان، ص201.

[3] المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية، دط، دت، ص763.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ص202.

[5]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هَوَاءٌ﴾[1] والمقْنِع: الرافع رأسه إلى السماء، والإقناع في الصَّلاة من تمامها، وفي الحديث: (كان إذا ركع لا يصوب رأسه ولا يقنعه، أي لا يرفعه حتى يكون أعلى من ظهره.)"[2]

ومعنى الكلمة عموما في اللغة " أنّها تقترب من معاني الرِضى والقبول، والاطمئنان، والميل والرغبة، وتبتعد عن معاني القهر والضغط والإجبار."[3]

أمّا في معجم لالاند (André Lalande) فقد جاء فيه " أنّه يجب التنبيه إلى التقابل المتداول بين أقنع بالحُجج وعموما في سبيل الحق (Convaincre)، وأقنع (Persuader) أفعم (أفحم بالخيال أو بالانفعال، وأحيانا بالخطأ)، لنجد الإقناع والاقتناع، الأولى تُشدد بنحو خاص على الطابع العقلي والمنطقي، والثانية تَفسح المجال لتدخُّل الاعتقاد، أي أنَّ ذلك المقتنع إنما هو مُقتنع بأسباب عقلية وليس بمؤثرات عملية وشخصية، على هذا النحو ربما تكافأ الاقتناع مع ما يسميه ليبتنز (اليقين الأخلاقي)* Certitudo Moralis."[4]

2.1/ اصطلاحا:

يُعرّف أرسطو الإقناع بأنَّه " فنُّ حمل الناس على فعل شيء لن يفعلوه في المعتاد إذا لم تطلبه منهم."[5]، وقد ورد في معجم لالاند أنّ الإقناع مصطلح حقوقي يعني " إلزام شخص ما بواسطة البراهين والشواهد."[6] ولعلّه ها هنا يحصر عمل الإقناع في الجانب القانوني أو التشريعي تحديدا، وغير بعيد عن هذين التعريفين ما أورده أوليفي ريبول (Olivier Reboul) في أنّ الإقناع هو " دفع أحد ما إلى الاعتقاد بشيء ما"[7]، ينضاف إلى هذا تعريف القرطنجي عند

---

[1] سورة إبراهيم ،الآية 43.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 202.

[3] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، ص106.

[4] اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد A-G ،منشورات عويدات،بيروت،لبنان،ط2،2001،ص230،229.

* اليقين الكافي لضبط أخلاقنا وأدابنا ،مثل الأشياء التي لم نتعود قط على الشك فيها والتي تمس مجرى الحياة ومسلكها على الرغم من علمنا أنّه من الممكن أن تكون فاسدة أو كاذبة بالمعنى المطلق.

[5] جيمس يورخ، الإقناع، فن إقناع الآخرين، مكتبة جرير،الرياض،السعودية، ط1، 2009، ص 24.

[6] اندريه لا لاند، موسوعة لا لاند الفلسفية، ص 229.

[7] حسن المودَّن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، كنوز المعرفة، ط1، عمان، الأردن،2014، ص24.

العرب في كتابه " منهاج البلغاء" والذي يرى فيه أنّ الإقناع هو " حمل النُّفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التَّخلي عن فعله أو اعتقاده."[1]

وغير بعيد عنا " يُعرّف السيميائيون المعاصرون الإقناعي أو الفعل الإقناعي، بأنّه أحد أشكال الفعل الإدراكي، فهو يتعلق بمقام التلفّظ ويتجلّى في استدعاء المتلفظ لكل أنواع الصيغ والطرق التي تهدف إلى أن يكون التواصل فعالاً "[2]، وجاء في كتاب الخطاب الإقناعي لعمارية حاكم أنّ الإقناع عند ولاس(Wallas) هو" تأثير المصدر في المستقبلين بطريقة مناسبة ومساعدة على تحقيق الأهداف المرغوب فيها عن طريق عمليّة معيَّنة، أين تكون الرسائل محددة لهذا التَّأثير."[3]

كان هذا ذكرا لبعض التَّعريفات العامة للإقناع التي اكتفى بها أصحابها حدّ التعريف والبيان، لكن وعندما كان الشيء بالشيء يُذكر يُلحُّ علينا المقام هاهنا التنويه على أنّه لا يمكن أن نذكر الإقناع دون ربطه أو على الأقلّ الإحالة إلى القاعدة البلاغية له، وإن كان قد سبقنا إلى هذا علماء ومفكرون، وفلاسفة وبلاغيون، غير أننا سنحاول عدم التغلغل كثيراً في هذا الباب، ودون الإيجاز فيه أيضا حدَّ الإقتار.

لا تخفى إذن الجذور الأولى للقاعدة الإقناعية لميلاد البلاغة اليونانية، " فعبر أطوار تاريخها الممتد لابست البلاغة الخطابة، وارتبطت بها، وبذلك انطوت منذ ميلادها الأول على حمولة الإقناع ومرتبطة أيضا بسطوة التَّأثير، يقول جابر عصفور : البلاغة نشأت ملازمة للخطابة ولم تفارق ما ارتبط بها من مخايلة الإقناع، وما تؤديه المخايلة في وظيفة إيديولوجية تتصل بإيقاع التصديق في النفوس"[4]، وما سيأتي سيكون جردا مختصرا لتاريخ بلاغة الإقناع.

[1] أمينة رقيق، الخطاب المكتوب، ص 146.

[2] حسن المودن، بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 22.

[3] عمارية حاكم، بلاغة الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوّي، دار العصماء، ط1، ، دمشق، سوريا، 2015،ص120.

[4] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2013،ص27.

فمنذ السفسطائيين " الذين حوّلوا الفلسفة والخطابة إلى فنّ الجدل بامتياز لإفحام من يناظرونهم في السياسة آنذاك."[1]، إلاّ أنّ الفضل يعود إليهم في الاعتناء بهذه البلاغة، إن إقرارا لقواعدها وطقوسها، أو تصريفا لها في خطبهم ومحاوراتهم."[2]

ولعلّ مآل هذا كلّه يرجع في الأساس إلى أنّ ممارسة الإقناع لديهم كانت "مدعومة بنشاط تعليمي اضطلعوا به، ومارسوه إضافة إلى امتهانهم التعليم الَّذي جعلهم يكرِّسون مجهودهم المعرفي والبيداغوجي لوضع مبادئ بلاغة الإقناع."[3]

إلى سقراط الَّذي "أنزل الفلسفة من عليائها إلى الأرض لتبحث في قضايا الإنسان والذَّات البشرية."[4]، سقراط نفسه من عدّ البلاغة مخادعة كونها تلتبس بالعمل والسياسة لكي توهم بفائدتها وشرعيتها، وهي بهذا التَّشبيه تصبح تملُّقا وقناعا."[5]، وعليه فقد اعتبر سقراط أنّ حجاج السفسطائيين مردود عليهم، ترى لما هذا الاعتبار لسقراط؟ يقول عادل عبد اللطيف "أنّ حجاج السفسطائيين حسب سقراط لا ينتج المعرفة، بل يُولّد فقط الاعتقاد ومادام الاعتقاد مهددا بالأخطاء و التهافتات فإنّ هذا الحجاج يغدو قاصرا عن خدمة العدل والحقيقة، يحاكم إذن سقراط الحجاج من موقع العلم، فينتصر للمعرفة ويبخس الاعتقاد، وبذلك يضع موضع مسائلة قيمة الخطاب وينفي أفضالها."[6]

كلّ هذا الكلام إذا يرجع إلى الخلفية التي اتكأ عليها خطباء المدنية ليعتبرهم مجرد متملقين "لا يستحقون الوضع الاعتباري الذي يحظون به، فالتقدير يجب أن يتّجه للفنون الحقيقية التي تنفع الإنسان، وتحقق السعادة، وهذه الفنون أربعة وهي: الطب والرياضة البدنية، والتشريع والعدل وهي تختلف عن الممارسات التي تتشبَّه بها وليست منها، يقول : لقد اندلقت وبشكل ممارٍ تحت هذه

[1] جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة،(د،ت)، ص10.
[2] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص28.
[3] المرجع نفسه، ص31.
[4] جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، ص10.
[5] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص39.
[6] ينظر ،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفنون الأربعة ممارسات خداعية تملُّقية لا علاقة لها بالخير والحقّ، وسعادة الإنسان، فتحت الطبّ اندلق الطبخ، وتحت الرياضة البدنية اندلقت الزّينة، وتحت التَّشريع اندلقت الخطابة، ويبلغ امتهان سقراط للخطابة أوجَّه حين يساوي بينها وبين الطبخ، وعليه فأقصى خدمة تقدمها الخطابة هي الإلتذاذ، فبدلاً من استهداف الخير يبحث حجاج السفسطائيين عن الإغواء وإثارة الإعجاب."[1]

يأتي الدور على أفلاطون، "فقد حمل هذا الأخير في محاوراته على الخطابة لتجاوزها الحقيقة بالبحث في الإقناع"[2] ويلاحظ أن هذه النقطة تحديدا كانت كهاجس أرَّق مضجع أفلاطون الذي "لم ينفصل موقفه من فاعلية الإقناع، ومن حجاج السفسطائيين خاصة عن الأهداف الاجتماعية والسّياسية التي انشغل بها في مشروعه المعرفيّ، فنظرية " المثل" وهي الإسهام الأفلاطوني الأبرز لم تكن معزولة من التناقضات المستّعرة، والمعارك الجارية في المجتمع الأثيني أن ذاك، لذلك لا يمكن اعتبار أفلاطون مثاليا يشيّد مدينته الفاضلة في الأحلام، بل كان مدافعا لدودا عن امتيازات طبقية."[3]

كان لأفلاطون "صورة مسبقة عن الحروب وتبعاتها، فقد شهد اضمحلال أثينا وانهيار مجدها خلال القرن 4.ق م، وكذا ما نتج عن ذلك من حالات الاضطراب واللاإستقرار، لذلك سيحمل أفلاطون على الحركة الناشئة في المجتمع ومن ضمنها السفسطائيين، وسيناصبها العداء معتبرا أنَّ هذه الروح الجديدة باندفاعها وسريانها العام في الواقع الأثيني، هي بداية الإفلاس للمجتمع، ومن ثمّ لابد من إيقافها عبر نقدها، والتشدُّد الأخلاقي والعقلي إزائها، ليقدم إذن الجواب الحازم عن هذا الانحلال في الفكر من خلال نظرية "المثل" مدافعا عن ثلاثة مرتكزات، هي النظام والعقل والحقيقة"، وذلك لتحقيق ما أسماه فيما بعد نظرية الحقيقة، "التي تلزم الخطيب اعتماد الفلسفة، إضافة إلى الاستعانة بمنهج ينظّم فكره وطريقة الجدل التي يتبّعها."[4]، هنا وبشيء من التَّصعيد نظنُّ أن أفلاطون "يشير إلى تلك الخطابة التي علينا أن نضعها في الحسبان،خطابة

[1] المرجع السابق، ص40.

[2] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، ط2،الدار البيضاء،المغرب، 2002.ص 13.

[3] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 34.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص44.

تكمن في قدرة مُنضوية تحت مظلة الحقيقة، بحيث تكون النتائج العملية التي ينبغي التوصل إليها من دراسة الواقع نتائج تفرض نفسها على كل عاقل"[1]، وهكذا أخذ "أفلاطون على عاتقه مهمة الإبقاء على المجتمع الطَّبقي، لما في ذلك من حفظ للنّظام، وليس النّظامُ إلاَّ التزام كل مواطن بوضعه، وملازمته لدوره،"[2]ونحن نرى بشيء من الموضوعية ربما أنَّ أفلاطون قد تمادى في الطرح العقلاني فكيف للناس أن يتساوو جميعاً ثم مالقول في قضية الاحتمالات التي تفرض نفسها...؟.

بالعودة إلى أفلاطون "فقد دافع عن دولة العقل والحقيقة، فكمال المدينة في تصوُّره لا يتفق إلاَّ بالعدالة، عدالة يجب من أجلها تعويض السلطة الاعتبارية التي منحها القول للسفسطائيين داخل المجتمع، وإحلال الفلاسفة مكانهم، فلا يُنجِز العلم بالحقائق إلا هؤلاء، لأنَّ الحِكمة من شأنهم ما داموا المؤهلين وحدهم للتفكير السليم، وبهذا يكونون الأحق بمسالك قيادة الأفراد نحو الخير والسعادة، وقيادة الدولة نحو العدالة،"[3]وغير خافٍ هنا أيضا القاعدة العقلية لأفلاطون.

إنَّ من جملة ما كان يصبو إليه أفلاطون في دولته أيضا هو "إنشاء أكاديميته، وهي مشروع تعليمي كان يتوخى من خلاله أن يجمع حوله جملة من المريدين النُّجباء، ويؤهلهم للبحث في حقيقة العدالة، لكن قدرة السفسطائيين والخطباء الصّقليين على استقطاب الشباب حالت دون أفلاطون وهؤلاء الزبناء المحتملين، لذلك هاجم بعد ذلك أفلاطون الخطابة، أيّ فنَّ القول الإقناعي نافيا جدواها، وقيمتها ومتبرما إذن من سلطة الخطباء الذين امتلكوا إذْنَ الشعب. لاغرو أن يستميت في الدفاع عن العقل ضدَّ الرَأي، وعن الحقيقة ضدَّ الظَّن."[4]

أخر محطة نقف عندها تخصُّ أرسطو، ونظنُّ أنها العلامة الفارقة في تحويل مجرى البلاغة بالخصوص الإقناعية منها.

وعليه "لم يكن غريبا أن تتهيأ لبلاغة الإقناع شروط النُّضج داخل النَّسق المعرفي الأرسطي فلقد استبطن المعلم الأول بشكل نقديّ عميق الإسهامات السَّابقة عليه، إسهامات

[1] عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، دار الجنوب ، ط1 ،تونس ، 2011،ص 16.
[2] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 34.
[3] المرجع نفسه، ص35.
[4] المرجع نفسه ، ص36-37.

(السفسطائيين وأفلاطون..)، وحوَّلها بإضافاته الواسعة، وأبحاثه المستقصية في أنماط القول الإغريقي إلى قواعد جامعة، ومبادئ منظَّمة."[1]

إذن كان أرسطو من الأوائل الذين نظَّروا للبلاغة من خلال حجاجيته، وقد خصّها بكتابين هما: "(الرّيطوريقا/البلاغة) و (الحُجج المشتركة)، وقد فضلَّ أرسطو البلاغة على المنطق، لأنَّ البلاغة أكثر فاعلية في المجتمع، وأنَّها أداة ناجحة في تفعيل الجدل والمناقشات السياسية والفكرية في حين يبقى المنطق حبيس المعرفة العلمية، بعيدا عن الحياة السياسية،كما جعل أرسطو من البلاغة أداة تطبيقية تتخلَّل المنطق والسياسة والأخلاق، ليكون هدفها بذلك الإقناع والوصول إلى الحقِّ والعدالة عبر طريق ومسار الجدل والاستدلال البرهاني والمنطقي"[2]، لتتَّضح هنا بصمة أرسطو في اتكاءه على البلاغة، ولتطوى صفحة أفلاطون و تملُّق السفسطائيين.

نخلص بعد هذا الكلام إلى أنّ "بلاغة أرسطو كانت خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التَّأثير والإقناع"[3]، وهي بهذا لا تتحدد ببعدها الإقناعي، بل بمهمة الإقناع التي تضطلع بها، لذا فقد عرّفها قائلا : " إنها الكَشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أيَّ موضع كان."[4]

ويسعنا القول أخيرا "لئن اكتوت البلاغة مع أرسطو بالمنطق على حد تعبير الدكتور (عباس ارحيله) فإنّ مردود ذلك عناية أرسطو القصوى بالطابع الإقناعي للخطاب."[5]

وعلى العموم وتأسيسا على ما سبق "فأرسطو يُعدّ المؤسس الحقيقي للبلاغة ومنطق القيم وقد سبق عصره بأراءه البلاغية الرائدة في مجال الحجاج والإقناع، معتبرا البلاغة فنّا خطابيا بامتياز"[6]، وليأتي الدور بعده على بلاغة القرن العشرين وما حملته من جديد.

---

[1] المرجع السابق ، ص46.

[2] جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، ص 22.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 54.

[5] المرجع نفسه، ص 57.

[6] جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، ص 23.

2/ البلاغة الجديدة: بيرلمان وانبعاث بلاغة الإقناع:

لئن كانت "بلاغة الإقناع قد عرفت قرونا من الإهمال أقصاها من دائرة الاعتبار المعرفي، فإنَّ الرُّجوع الكبير لهذه البلاغة مدين تاريخيا لمصنَّف في الحجاج."[1]، يعود هذا المصنَّف "إلى سنة 1958م، وقد كان من ثمرات رجل القانون التشيكي شايم بيرلمان (Chaim Perelman) واللّسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتيكا (Lucie Olbrechts Tyteca) حيث أصدرا معا كتابهما (الوجيز في الحجاج/ البلاغة الجديدة)."[2]

وقد عُرف بيرلمان "كفيلسوف ودكتور في القانون اهتم في نشاطه المعرفي بالمنطق الصُّوري والفلسفة التَّحليلية، إلاّ أنّ دراسته المبكرة حول البلاغة والفلسفة تعود إلى التَّمييز بين المنطق الصوري الحديث المستند إلى الرياضيات والقيم " Valeurs"، أي المبادئ العامة التي تؤسس الخلفية الأخلاقية لتدبير الديمقراطيات المعاصرة (العدالة، المساواة، والمسؤولية عن الأفعال)، أما تيتيكا فقد ارتبط تكوينها بعلم النفس الاجتماعي، والاشتغال على القيم التي تحكم العلاقات الإنسانية وتنظّم المبادلات الخطابية."[3]

وقد تكلَّم" الباحث جورج فينو(George Vignaux) عن مشروع بيرلمان في إحياء بلاغة الإقناع و هو يعزوه إلى عوامل سياسية ارتبطت بتأثُّره الشديد وهو اليهودي البلجيكي بالإبادة الجماعية التي تعرَّض لها الشعب اليهودي خلال الحرب العالمية الثانية، هذه الإبادة التي كانت تبرمجها الخطب النارية لخطيب مرعب هو" أدولف هتلر" ممّا جعل بيرلمان يقتنع بأنّ الكلام غير المنضبط والكلام المستند إلى المطلق قد يقودان إلى اللّاعقل وإلى التَّخريب المميت، حساسية حدَت ببيرلمان منذ سنة 1934م إلى الكتابة عن العشوائية المعرفية، عشوائية القول وعشوائية الفكر الإيديولوجي"[4]، و التي جعلت شخصا كهتلر يقود الحملات من دون رادع أو سلطان.

---

[1] عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 83.

[2] جميل الحمداوي، نظريات الحجاج ، ص24.

[3] عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 83.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 84.

شيء آخر كان سببا في ظهور مصنَّف بيرلمان يجب أن نضيفه فنقول "أنَّ إنجاب هذا المصنف لا يفسّر فقط تلك الاعتبارات السياسية، بل إنّه نتاج المتطلبات المعرفية، فلقد تميّز القرن العشرون ابستيميا بوصفه قرن الإشهار والدِعاية، ممَّا جعل الحضارة البشرية موسومة بمهاراتها المتطرفة، بالتقنيات الخاصة بالتأثير على الأشياء، وليس أنسب لاستراتجيات التأثير من بلاغة الإقناع التي دافع عنها بيرلمان عند انبعاثها و تطويرها."[1]

وفق هذا التصوّر للولادة القيصريَّة لبلاغة بيرلمان الجديدة، "والتي أعاد فيها إحياء الإقناع الذي طمرته الفترات الطويلة لسيادة بلاغة الأسلوب، فإنّ "المصنَّف الحجاجي" لبيرلمان شكَّل جردا لأهم التّقنيات التي تمكِّن من انخراط العُقول حتى يقدَّم لها آراء وأفكار مساعدة في نقد العقلانيين الغربيين، وتفاديا للرعب والتسلط." [2]

وبما أنّ "البلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول ريبول (Reboul)"[3] فلا يمكننا أن نغضَّ الطرف عن أعمال ديكرو(Ducrot) وانسكومبر (Anscombre) اللَّذان استندا إلى التداولية ليعتبرا أنّ معنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي.

إضافة إلى ما جاء به "ميشال ماير (Michel Meyer) في مشروعه الفلسفي لنقد العقلانية الفرنسية بنزواتها الديكارتية و الكانطية، يستشعر ماير بأن حقلا إنسانيا محمَّلا بالاستشكال والسؤال وبالمحتمل والخلافي لا تناسبه إلا بلاغة الإقناع التي تقوم على السؤال والمفاوضة، مفاوضة المسافة بين الأطراف من أجل عيش مشترك، وسهل ومتبادل، واستنادا إلى المباحث التداولية سيركّز مشروع جاك موشلر(Jacques Moeschler) على الطبيعة الحجاجية للحوار إذ انتهى إلى أنّ الخاصية الإقناعية تميز المبادلات والمداخلات في أي محاورة"[4] وهو بهذا يميل في أبحاثه أكثر إلى المناظرات والخطابات التي أساسها الحجاج والجدال وكذا الحوار.

---

[1] ينظر المرجع السابق ، ص33، 34.

[2] المرجع نفسه، ص120.

[3] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته،الجزء الأول،عالم الكتب الحديث،د ط،إربد،الأردن،2010،ص28.

[4] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص121.

وإن كان جلُّ ما تحدَّث عليه هؤلاء عن بلاغة الإقناع كان في مبحث الحجاج والتداولية إلا أنَّه ارتأينا أن نذكر هذا وإن عرضا، ولأنَّ المجال لا يسمح بالإطناب في شرح هذه النقاط آثرنا على الأقل الركون إلى تقديمها.

3/آليات الإقناع:

لا شك أن الخطاب الإقناعيَّ عموما في سعيه الحثيث نحو الإبلاغ، وإيصال رسالته وفحواه، لاشك أنَّه يحتاج إلى أساليب وآليات يقوم عليها طرحه، وينبني بها كيانه " ينضاف إلى هذا أنّ بلاغة الإقناع لا تقوم إلا على علاقة بالأخر، ولا تشتغل إلا حيث يشتغل الحوار."[1]

وعليه فقد تنوعت وتعدَّدت الأساليب المستخدمة في الرَّسائل الاتصالية والحوارية لإقناع المتلقين، تَحفُّها طبعا عديد اعتبارات تؤدي إلى اختيار أسلوب معيَّن لتقديم إعلامي، أو لبلوغ الهدف المنشود، وهذا يكون بما يتوافق وطبيعة الموضوع، وكذا خصائص جمهور المتلقّين، ومن تلك الأساليب الإقناعية نجد:

1.3/وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمنيا:

ينوِّه "بابكر مصطفى" إلى "إنّ الإقناع يكون أكثر فاعلية عند ذكر أهداف الرسالة أو نتائجها بوضوح، فتقديم النتائج بشكل محدَّد كما أسفرت نتائج الدراسات والبحوث فيما يتعلق بتغيير الاتجاهات ساعد الذين غيروا اتجاهاتهم بما يتوافق وأهداف الرسالة، وقد بلغ ذلك الضّعف مقارنة بالذين غيروا اتجاهاتهم بعد تعرُّضهم لرسالة تَرك المتحدث فيها استخلاص النتائج للجمهور"[2]، لذلك يجب ألّا نترك للجمهور عياء استخلاص النتائج بنفسه كي لا يملَّ وتخبو عزيمته أو يضّل رأيه.

[1] المرجع السابق ، ص71.

[2] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الدوحة،قطر،2003، ص64.

وجدير بالذّكر أنّ هذه "الأساليب والاعتبارات قد تذهب أبعد من ذلك، حيث تتجاوز مستوى الوضوح مقابل الضمنية، ويرجع هذا إمّا إلى مستوى ثقافة وذكاء المتلقي، أو قيمة الموضوع ودرجة ارتباطه بالمتلقي، إضافة إلى نوع القائم بالاتصال."[1] ، وهذا ما يشابه ربما الأركان التي وضعها أرسطو للإقناع وهي:

"**أولا أخلاق القائل**: أو ما يمكن أن نسميه حُجَّة الإيثوسEthos .

ثانيا تصيير السامع في حالة نفسية ما: أو ما نسميه حُجة الباتوسPathos .

ثالثا القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه لا يثبت: وهو مايمكن ان ننعته بحجَّة اللغوسLogos أي الكلام"[2].

وإجمالا في هذا يحسن القول "أنّ الخطيب يُقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقى على نحو يجعله خليقاً بالثّقة، لأننا نستشعر بالثّقة على درجة أكبر، وباستعداد أوسع بأشخاص معتبرين في كلّ الأمور بوجه عام، لكن إذا أعوِز اليقين وكان مجالا للشك فإنّ الثقة تكون مطلقة*، وهذا الضرب من الإقناع مثل سائر الضُروب ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلّم، لاعن طريق ما يظنُّه الناس عن خلقه قبل تكلمه، وينبغي أن يكون خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه"، ثمّ إنّ الإقناع يمكن أن يتمَّ بواسطة السامعين إذا كانت الخطبة مثيرة لمشاعرهم، فأحكامنا حين نكون مسرورين وودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمورين ومعادين، ونعتقد أنّ معظم الذين يصنَّفون في الخطابة اليوم يزيغون إلى توجيه كلّ جهودهم نحو إحداث هذه الآثار."[3]، وأخيرا فإنّ "الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة ومناسبة للحالة المطلوبة"[4]،لتكون هذه أولى آليات الإقناع وأساسها سهولة الرسالة و بيان أهدافها.

---

[1] المرجع السابق،ص64،65.

[2] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص28.

* أي إننا على استعداد أكبر للثقة بقول الأخيار من الناس، وهذا صحيح مهما كان الموضوع، وهو صحيح صحة مطلقة في الأحوال التي يستحيل فيها اليقين، وتختلف الأراء، ينظر محمد المعري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص25.

[3] حافظ اسماعيل علوي،الحجاج مفهومه ومجالاته،ص 29.

[4] محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق،الدار البيضاء،المغرب،ط2، 2002.ص25.

2.3/تقديم الأدلة والشواهد:

يسعى معظم القائمين بالاتصال إلى دعم رسائلهم الإقناعية "بتقديم أدلَّة وعبارات تتضمَّن إمّا معلومات واقعية أو أراء منسوبة إلى مصادر أخرى غير القائم بالاتصال."[1]

رسائل إقناعية يجب أن تفضي في الأخير إلى ثمرة الإقناع والاقتناع، "أمّا الأول فتقتضي البرهنة فيه صِحة المقدمات، وصِحة الاستنتاجات، وتستبعد الالتباسات، وتستدعي الاستدلالات التَّحليلية، وغايتها الوصول إلى الحقيقة، ومخاطِبها لا يمكن إلا أن يكون عالما كبيرا، وأمّا الثاني وهو الاقتناع فهو أهم من الإقناع عند الَّذين لا تهمهم إلاَّ النتائج، وتنقلب العملية عكساً فيكون الأول، أي الإقناع أهم من الثاني عند من ينشغل بالطَّابع العقلاني، لانخراط المخاطَب طابع يتعلق أحيانا بقدرات المخاطَب الذي نتوجه إليه بالخطاب، وأحيانا باعتبارات أخرى كجسد المخاطَب وخياله وإحساسه، وكل ما ليس عقلا."[2]

والموضوعات حتما تختلف فمنها ما يتطلب أدلَّة وشواهد أكثر من غيره، وهي بذلك درجات، لكن يبقى مآل كل هذا ومصَّبه هو الاشتغال على أقوال " تشكل سلطة مرجعية معترفا بها، قادرة على تجاوز معارضة الخصم، وانتزاع تسليمه وإذعَانه."[3]، وحبَّذا "أن تكون هذه السلطة المرجعية تحظى بالنفوذ والمصداقية"[4]، وإن أردنا التَّخصيص فنزيد على ذلك بالقول أن هذه المرجعيَّة عندنا تحديداً يجب أن يكون مصدرها القرآن الكريم أو السنة النبوية، إضافة إلى الأبيات الشّعرية والأمثال والحِكم.

[1] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص66.
[2] حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 24، 25.
[3] عبد اللطيف، بلاغة الخطاب الإقناعي في المحاضرة، ص 233.
[4] المرجع نفسه، ص 244.

3.3/ ترتيب الحجج الإقناعية داخل الرسالة:

يشار إلى "أن الرّسالة التي تَحتجز أقوى وأهمَّ الحجج إلى النهاية بأنَّها تستخدم في ذلك ترتيب الذُّروة، أي تأثير النهاية، أمّا الرّسالة التي تقدم الحجج الأقوى في البداية فهي تتبَّع تأثير عكس الذُّروة، أي تأثير البداية...، ولابد من الإشارة هنا إلى أنه ليس هناك قاعدة أو قانون عام لترتيب الحجج في عملية الإقناع"[1]، فقد "اعتبر أفلاطون قديما في فلسفته أنّ الإقناع هو مفتاح القوَّة، وأنّ الرّسالة هي الإقناع."[2]

وطالما كانت الرّسالة عموما تبحث عن أذان صاغية ، وعقول نابهة كان أجدى بالخطيب أو المخاطِب أن يغذّيها بشيء من الوَّعي الحصيف لديه، يترجمه في التدرُّج الذي يتوافق ورسالته فالأخير واحد من أبرز الأسس التي يقوم عليها الإقناع، وهو يأتي في مقدمة الأساليب الفعَّالة لإقناع الإنسان، وهو ما يتناسب مع طاقاته الاستيعابية، وقدراته العقلية، ما يخوِّل المستمع والمتلقي في الأخير لاستقبال الرسالة على جُرعات تتماشى وإمكاناته وملكاته."[3]

وقد ذكرت بعض الدراسات "أنّ الحُجج التي تقدم في البداية تأثيرها أقوى من الحجج التي تُقدم في النهاية، بينما أظهرت دراسات أخرى عكس ذلك، ويرى بعض الباحثين أنَّ تأجيل الحجج الأقوى حتى النهاية أفضل من تقديمها في البداية، وقد ورد هذا كثيرا في القرآن الكريم"[4] وليس أدلَّ على قوة الإقناع من القرآن الكريم،لكنَّ المجال في هذا يبقى مفتوحا بحسب ما يقتضيه المقام.

---

[1] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص68.

[2] علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع ، دار الصفوة، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص96.

[3] خالد حسين حمدان، الإقناع أسسه وأهدافه، كلية أصول الدين،الجامعة الاسلامية، غزة،1426 هـ- 2005،ص 17.

[4] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم،ص 68-69.

4.3/ استخدام الاتجاهات والاحتياجات لدى الجماهير:

يرى بعض علماء الاجتماع "أنّ الجمهور يكون أكثر استعداداً لتدعيم احتياجاته الموجودة عن طريق تطوِيره لاحتياجات جديدة عليه تماما، بمعنى أنّ الرسالة تكون أكثر فاعلية حينما تجعل الرَّأي أو السلوك الذي تَعرضه يبدو للجمهور على أنّه وسيلة لتحقيق احتياجاته الموجودة فعلا"[1] كما أنه"تختلف أحوال عملية الإقناع من وقت لآخر، ومن حال إلى أخرى حسب مقتضيات الأحوال والأزمان، فقد يصلح أسلوب إقناعي في مخاطبة شريحة عمرية معينة، ولا يصلح مع غيرها"[2].

ومن أصول الحكمة مراعاة حال الجمهور، "إذ ليس من الحِكمة استخدام أسلوب واحد في عملية الإقناع مع الصَّغير والكبير، والرَّجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادئ والغاضب، بل لابدّ من تنويع أسلوب المخاطبة"[3]، فكلٌ له احتياجاته، وكل له اتجاهاته، وكل هذا لا يتأتَى عبثا، إنما لبلاغة الخطيب وبيانه وثقافته الشيء الكبير في إنماء هذا ثم حصده، فالغاية القُصوى التي يرومُها الخطيب هي الإقناع، ومن ليس له علم حدَّ مراعاة الآلة على ما يوافق قول "بشر بن المعتمر صاحب الصَّحيفة المشهورة في البيان والتَّبيين فيما يرويه الجاحظ عنه على ما يجب "لكل مقام من المقال"[4] هذا كلامه مردود عليه، ويحذوه قول ابن المقفع" لا خير في كلام لا يدل على مَعناك، ولا يشير إلى مَغزاك أو إلى العمود الذي إليه قصدت، والغرضِ الذي إليه نزعت"[5]، و لعلَّ هذا الكلام موجَّه إلى أولئك الَّذين يُطلقون ألسنتهم لا يريدون إلاَّ الهذْر فلا يَضعون الكلام مواضِعه و لا ينزلون الناس منازلهم.

---

[1] المرجع السابق ، ص 69.

[2] خالد حسين حمدان،الإقناع أسسه وأهدافه ، ص11.

[3] المرجع نفسه ،ص 15.

[4] عادل عبد الطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 65.

[5] الجاحظ،البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مجلد1، دار الكتب العلمية، ، بيروت، لبنان، 2008، ص136.

5.3/ التكرار:

عدد ليس باليسير من علماء الاتصال "يرى أنّ تكرار الرّسالة من العوامل التي تساعد على الإقناع، ذلك أنّه يؤدي إلى تذكير المتلقي باستمرار بالهدف من الرِّسالة، ويُثير في الوقت عينه احتياجاته ورغباته"[1] إلا أنّ التِّكرار في بعض الأحيان قد يسبب الضّيق والملل، ولكي نَخرجه من دائرة النَمطية والسلبية "علينا أن نَصبغه بشيء من الثراء والتَّنوع"[2].

4/ استراتجيات الإقناع:

سنحاول في هذا الجزء إماطة اللِّثام عن أهم النّقاط التي يحتاجها المخاطِب أو القائم عموماً بالرّسالة الإقناعية، كي يوصل أفكاره وأرائه، ويتوصَّل إزائها إلى الهدف المنشود والغاية القصوى التي يسعى لها، وسنتوخَّى في هذا العرض سبيل التّوضيح والتبسيط، وهذه أهم النقاط:

1.4/ الإستراتجية الدينامية النفسية:

لا يخفى ما للإنسان من تركيب معقَّد " من مكوّنات بيولوجية وعاطفية وإدراكية، ومن دون شكٍّ سنستعرض الجانبين العاطفي والإدراكي كوننا نستعمل الخطاب، حيث لا يتأتَّى لنا تغيير البنية أو التركيب البيولوجي للإنسان بالخطاب."[3]، ثم إنَّ "استخدام رسالة خِطابية أو إعلامية له القدرة على تغيير البناء النَّفسي للأفراد المستهدفين (الاحتياجات، المخاوف التصرفات) مما يؤدي إلى السلوك العلني المرغوب فيه، والعامل النَّفسي يُسهم في العملية الإقناعية باعتباره يحدد نجاعته، وعلى موجّه الرسالة أن يمهد الطَّريق لدى المتلقي لإيجاد جوّ نفسيٍ ملائم وهو ما يُعرف بالتهيئة النفسية"[4]، وهذا ما يسميه أرسطو بحجة الباتوس Pathos "أي تصيير السامع في حالة نفسية ما"[5]، بها تتم "إثارة حاجياته أو دوافعه أو اتجاهاته للوصول إلى إثارة

[1] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرأن الكريم، ص70.
[2] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، ص110.
[3] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرأن الكريم، ص37.
[4] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، ص141.
[5] حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 28.

توقعات المتلقي بأنّ قيامه بسلوك معيَّن سوف يجنّبه أخطاراً ما أو حرمانا، وهو يشمل (ترغيبه وترهيبه، ونصحه وإرشاده) بما تقتضيه الضرورة والحال."[1]

2.4/ الإستراتجية الثقافية الاجتماعية :

بينما تقوم الافتراضات الأساسية لعلم النّفس على أن "السُلوك يمكن السيطرة عليه من قوى داخل الفرد فأن العلوم الاجتماعية هي الأخرى تفترض أنّ قدرا كبيرا من سلوك الإنسان تشكّله قوى معينة لكنها خارج الفرد"[2]، وعامةً فهذا الجانب يركّز "على العلاقات الاجتماعية ودافعية الانتماء وحرص الفرد على تقدير الجميع له، بحيث تجعله يتجنب السلوك الذي لا ترضى عنه الجماعة، ويستجيب إلى السُلوك الذي يتوافق والمعايير الاجتماعية التي تتمثَّل عادة في القيمّ و التقاليد والأعراف التي تحدد معايير السلوك لدى الجماعة والمجتمع، وخصائصهما الثقافية."[3] مهما يكن من أمر فإنّ ما تتطلبه إستراتجية ثقافية اجتماعية فعالة هو " أن تحدَّد من خلالها رسائلُ الإقناع قواعد السلوك الاجتماعي للفرد ، وتبثُّ الجهات المستخدمة بذلك لهذه الاستراتيجية ثقافتها وتقاليدها بغرض تعميمها على المتلقين."[4]

3.4/إستراتجية بناء المعاني:

إستراتجية تدخل أكثر ضمن الجانب الإعلامي و "وفقا لها تُكوِّن وسائل الإعلام الصوَر الذهنية لعقولنا، وتحاول خَلق معانٍ جديدة للواقع أو تغيير معان راسخة داخل أي مجتمع من المجتمعات"[5]، وغير خافٍ قيمة الدعاية والإشهار خاصة في زماننا هذا ومالها من تأثير كبير على الشرائح المختلفة في المجتمع.

---

[1] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص78.

[2] المرجع نفسه، ، ص40.

[3] المرجع نفسه، ص84.

[4] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، ص111.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعليه فهناك "أسس كافية للاعتماد على إستراتجية بناء المعاني بغرض تغيير السلوك فالمعلومات التي تنقل إلى الجمهور يجب أن تكون فاعلة"[1]، لتفضي "في الأخير إلى سلوك جديد وهو جوهر إستراتجية إنشاء المعاني."[2]

هذه إذن بعض آليات واستراتيجيات الإقناع التي أمكننا الحصول عليها،حاولنا في هذا الجزء اللأول من البحث رصدها ثم تقريب معناعا، و سنسعى للإشتغال عليها و رصد الحمولة البلاغية المتضمنة عنها في ما ساقه "الغزاليُّ" في كتابه.

[1] معتصم ابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرأن الكريم، ص40.
[2] المرجع نفسه، ص96.

الفصل الأول

المحاور الدلالية في بلاغة الإقناع

أولا/محور العقيدة :

1.أركان الإسلام ومبادىء الأخلاق.

2.ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان.

ثانيا/ محور الأخلاق.

1.الصدق و الأمانة.

2. الحلم والصفح.

3. أدب الحديث .

أولا/محور العقيدة:

1.أركان الإسلام و مبادئ الأخلاق:

إن علم العقيدة أشرف العلوم و أعظمها قدرًا لأنَّه و بكل بساطة، يتحدَّث عن مسائل الإيمان و أركان الإسلام، و كل هذه مجتمعةً هي لبُّ الدين و جوهره .

و من مقتضيات الإيمان و الإسلام أن يسعى الإنسان إلى كلّ علم نافع و عمل صالح و خِصال حميدة و أخلاق مجيدة. ثمَّ إنَّ أصل العلوم العلم بالله و أشرف الأعمال عبادة الله و أجدى الخصال ما اتصف به أنبياء الله و أكرمُ الأخلاق ما رُفع به محمد ابن عبد الله، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[1]

لقد استهلَّ "الغزاليُّ" كتابه هذا بالحديث عن ركني العقيدة الأساسيين الأركان و الإيمان و قد أبنَّا بشيء من الإسهاب في مقدمة هذا الباب عن قضية العقيدة و مكانتها، وبشيءٍ من التوضيح ، فأركان الإسلام المتضمنة للشهادتين ثم الصَّلاة و الزكاة و الصوم و الحج ، هي عبادات أمر الله بها عباده و كلفهم بها، و أركان الإيمان التي تستوجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره، هي الأخرى لا تعدو أن تكون عبادات وأعمدة يقوم عليها الإيمان الصحيح ،وكلها مفتاح أن تكون مؤمنا مسلما.

لن نطنب في هذا الموضوع كثيرا حتى لا نخرج عن فحوى الرسالة التي نسعى للوصول إليها.

لقد تحدث "الغزالي" في بداية هذا الكتاب عن قضيَّة العبادات التي كلَّفنا الله عزَّ وجلَّ بها على أنها "لا تنشدُ أكثر من تدعيم فضائل الناس وإثارة أفاق الكمال أمام أعينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة"[2]، يحاول المؤلف إذن أن يسوق لنا وجها مختلفا عما نعرفه عن هذه العبادات وأن يبسطها بطريقة مختلفة عما ألفناه فيقول: "والعبادات التي شُرعت بالإسلام واعتبرت أركانا في الإيمان ليست طقوسا مبهمة من النَّوع الذي يربط بالإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلّفه بأداء أعمال

[1] سورة القلم، الآية 4.

[2] المدونة، ص7.

غامضة وحركات لا معنى لها، كلا كلا ... [...]، إنها أشبه بالتمارين الرياضية التي يقبل الإنسان عليها بشغف ملتمسا من المداومة عليها عافية البدن وسلامة الحياة".[1]

وفي القرآن الكريم والسُنَّة المطهرة بيان واضح يكشف الحِكمة من الصَّلاة وإقامتها قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.[2]

فلا توافق الصَّلاة القرب من الرذائل والفواحش، بل على العكس تماما فهي تنأى بالمصلين عن سوء القول وسوء العمل وهذه حقيقة الصلاة وجوهرها.

وأما الزَّكاة فهي من علامات التآخي والمودة مع الشرائح الأخرى في المجتمع ، "وهي ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب –بل هي– أولا غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التَّعارف والأُلفة بين شتى الطبقات وقد نص القرآن على الغاية من إخراجها "[3]، وذلك بقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[4] ، فكأن الصدقة شيء يخلّص النفس مما يشوبها من أمراض وأدران ليزكيها ويسموا بها.

ومن أجل ذلك وسَّع النبي (صلَّى الله عليه سلم) في دلالة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم فقال: «**تبسُّمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم في الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة، وبصرك للرَّجل الرديء البصر لك صدقة**». [5]

يدرك المتأمّل جيدا في هذا الحديث كيف أخرج الرسول الكريم الصدقة من الحيّز الضَّيق الذي يفهمه كثير من الناس إلى أمور شتى تسع المعاملات والسلوكات اليومية، وهذا حثٌّ منه

---

[1] المصدر السابق، الصفحة السابقة.

[2] سورة العنكبوت، الآية 45.

[3] المدونة، ص 8.

[4] التوبة، الآية 103.

[5] الترمذي محمد بن عيسى ،الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، تح محمد شاكر،دار إحياء التراث العربي،الجزء3، بيروت،لبنان، دت ص603.

(صلَّى الله عليه وسلم) على التكافل والتكاتف وحسن الخلق، (قال صلى الله عليه وسلم) « **إنَّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسَعهم منكم بسْط الوجهِ وحسن الخلق**».[1]

ولا يخرج الصوم عما سبقه من عبادات "فالإسلام شرع الصوم، لا في كونه حرمانا مؤقتا من بعض الأطعمة و الأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائما من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة".[2]

وتأكيدا لهذا المعنى يقول (صلى الله عليه وسلم): « **من لم يدع قول الزُّور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».[3]

أو ليس حرمان النفس من الشهوات وإبعادها عن الدنايا تمرينا يوصي به المسلم نفسه ويزكيها به. والقرآن يذكر ثمرة الصوم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.[4]

و يجب على الإنسان أنْ يدرك أنَّ سفره إلى البقاع المقدسة و "الذي كلّف به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام على بعض أتباعه، يحسب الإنسان هذا السَّفر رحلة مجردة من المعاني الخُلقية، ومثلا لما قد تحتويه الأديان أحيانا من تعبُّدات غيبية وهذا خطأ دون شك"[5] يقول تعالى في الحديث عن شعيرة الحج في كتابه الكريم:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[6]

نعم إنَّها التقوى وحسن الخلق والسموُّ بالنفس إلى إجلال خالقها بالعبادة والتقرب إليه "فهذا العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام، وعرفت على أنها أركانه الأصيلة

---

[1] المنذري الحافظ ، صحيح الترغيب والترهيب، تح ناصر الدين الألباني، المجلد1، مكتبة المعارف، ،ط1،الرياض،السعودية،2003، ص999.

[2] المدونة: ص 8.

[3] البخاري محمد بن اسماعيل ،صحيح البخاري،دار ابن كثير،ط1،دمشق،بيروت،2002،ص458.

[4] سورة البقرة، الآية 183.

[5] المدونة، ص 9.

[6] سورة البقرة، الآية 197.

نستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدّين بالخلق"[1] هذا لا يؤكد إلا أنها طاعات وتعاليم تنشد به نحو مدارج الكمال المنشود، " إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول الكريم[2] حين قال: «**إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». [3]

تعرَّض "الغزاليُّ" في تقديمه لهذا الكتاب لذكر بعض الطاعات التي تخص أركان الإسلام والذي يظهر أن الغزاليَّ قصد من هذا بيان وإبراز العلاقة الوطيدة لهذه العبادات بالأخلاق لأنَّ جُلَّ هذه العبادات تحمل وزنا كبيرا من الأخلاق كما أسلفنا القول.

والذي يُستسقى من جملة ما قاله المؤلِف هنا " هو ما يسمى وضوح الأهداف" [4] عند بعض علماء النفس والقائمين بالاتصال.

حيث أن المتلقي إذا لم يجد منذ البداية ذلك الغموض وتلك الصعوبة التي تشتت عليه انتباهه، سيكون احتمال وصول الرسالة إليه ثمَّ إقناعه بها أمر ليس بالصعب، لذا سعى الغزاليُّ في كل مرة يذكر فيها عبادة ما إلى ربطها بالأخلاق، كي يجعل المتلقي منذ البداية يفقه محتوى الرّسالة وهدفها وهذا يأتي بالتدريج طبعا لا جملة واحدة.

2. ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان:

لطالما كان وزن الأخلاق عند كل فرد دليلا على ما يحمل من إيمان وذلك لما يشكّله قدر الخُلق وحسنه من حصن لصاحبه ينعكس مباشرة على الإيمان.

يعد " الإيمان إذن قوة عاصمة عن الدنيا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن **الله** عزّ وجلّ عندما يدعوا عباده إلى خير أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم" [5] وهذا واضح في القرآن فما أكثر ما يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، ثم يذكر – بَعدُ– ما يكلّفهم به: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[6] مثلا... .

---

[1] المدونة، 9.

[2] المصدرنفسه، الصفحة نفسها.

[3] مالك بن أنس، الموطأ،تح سعيد محمد اللَّحام ، دار إحياء العلوم ،ط2، بيروت، لبنان، 1990 ، ص693.

[4] معتصم بابكر مصطفى: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص 64.

[5] المدونة، ص 10.

[6] سورة التوبة، الآية 119.

وبحسب تشبّث الأخلاق في أصحابها تكون قوة الإيمان طبعا والعكس صحيح، " فالإيمان القوي يلد الخلق القوي حتما وانهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه".[1]

وقد ضرب الرسول الكريم لهذا أمثلة عديدة ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم): "في الرجل الصفيق الوجه، المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد، يقول رسول الإسلام في وصفه":[2] « **الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**». [3]

وهكذا فقد سعى الرَّسول دائما لبثّ الفضائل وإنشائها في الناس، والمواقف في هذا كثيرة.

وقد حدث أن أوصى الرسول الكريم بالجار و حذّر من أذيته قال (صلى الله عليه وسلم): « **والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن من جاره بوائقه!!**». [4]

إن تعهُّد الفضائل من وقت إلى آخر و تذكير الناس بها يورث في القلب كمال الدّين ويُؤتي ثمارها ولو بعد حين.

يقول الغزاليُّ وتجدُ الرَّسول (صلى الله عليه وسلم) عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو ومجانبة الثرثرة والهذر، يقول: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**». [5]

فأين يتداخل الإيمان بالله واليوم الآخر مع الصمت؟ نعم، إنه الاحتراز للدين والعِرض، فربَّ كلمة قطعت رحما أو قتلت نفسا أو هوت بصاحبها في جهنم مكبوبا على وجهه.

وقطع الرَّحِم أو قتل النفس أو الخوض في أعراض الناس، هذا لا من الدّين ولا من الإيمان في شيء، « **فمن حسن إيمان المرء تركه مالا يعنيه**». [6]

---

[1] المدونة، ص 10.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] البخاري،الأدب المفرد، تح ناصر الدين الألباني،دار الصديق،ط2،بيروت،لبنان،2000،ص478.

[4] البخاري،صحيح البخاري، ص1509.

[5] ابن حجر العسقلاني، جواهر صحيح البخاري،تح عز الدين السيروان وعبد القادر الغزاوي، دار إحياء علوم الدين،ط1، بيروت، لبنان، 1991 ص316.

[6] الترمذي، سنن الترمذي،ص707.

وتقريرا لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخُلق القويم، يستشهد الإمام بحديث للرَّسول فيذكر أنَّ النَّبي الكريم قال: « **ثلاثٌ من كنَّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر، وقال إني مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**».[1]

إنَّ من جملة ما دعا إليه " الغزاليُّ" في ما ذكرناه هو تقرير بعض الحقائق التي تخفى عن الناس، فلكأن الناس قد ألفة العبادات وجعلتها عادات لها زمانها ومكانها، لكنَّ الأصل فيها هو التقرب إلى الله ومعاهدة النفس وتذكيرها وتزكيتها شيئا فشيئا بهذه الطاعات و القُربات.

وتأكيدا على ما قلناه عن " قضية وضوح الأهداف" فإنَّ القارئ إذا اتضحت له الرؤية وبان له المقصد تكفَّل باستنتاج الأهداف ضمنيا دون تكلُّف أو عناء، وهذا من بين مقاصد هذا الأسلوب حيث أنه يذهب أبعد مما يظهر عليه "ليتجاوز قضية الوضوح مقابل الضِمنية ويرجع هذا كثيرا إلى قيمة الموضوع ودرجة ارتباطه بالمتلقي إضافة إلى نوع القائم بالاتصال"،[2] ويجعل المتلقي يُظهر ثقافته ومستواه، ثم لا يخفى أبدا ما للشواهد القرآنية والنبوية من أثر عظيم في المعنى من جهة والإقناع من جهة أخرى.

ثانيا /محور الأخلاق:

1.الصدق و الأمانة:

إنَّ الأخلاق ركن قويم في الحياة، شديد الصلة بالمعاملات بل إنَّ أركان الدين الإسلامي كلها تحوي في طياتها قدرا عظيما من المخزون الأخلاقي، ولئن كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أبان " وحدد الغاية الأولى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته"[3] كما يقول الشيخ الغزالي حين قال (صلى الله عليه وسلم): «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[4].

إلا أنَّ الغاية القصوى التي يجب أن نسعى وراءها هي تحقيق هذه الأخلاق وتطبيقها في واقعنا المعاش من جهة وأن نجعلها صبغة لحياتنا ومعاملاتنا من جهة أخرى.

---

[1] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب ،1082.

[2] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص65.

[3] المدونة، ص 7.

[4] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

ولقد حاول "الغزاليُّ" في هذا الكتاب بسط بعض الأفكار المتعلقة بالأخلاق والمعاملات وحتى تلك الأركان التي يقوم عليها الإسلام ولا يكون إلا بها بسطها على أنها تخرج من دائرة الطقوس المبهمة والأعمال الغامضة إلى " تمارين متكررة لتوعية المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة"[1] ثم ليبدأ بصعود سلَّم النجاة " بأن يضل متمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف.

لقد نحا "الإمام الغزاليَّ" في هذا التقديم منحى حاول فيه بشيء من الترغيب واللين الوصول إلى العقل الباطن إلى كل من يقرأ هذا أو يسمعه كي يخاطب القلوب والعقول قبل الأذان والأبصار ولعلَّ في هذا الأسلوب ما فيه من البلاغة والحكمة.

نبدأ الحديث إذن عن بعض شمائل الخُلق الحسن وتحديدا بالصدق. فلا شك أن الصدق صفة حميدة وخصلة فريدة يسمو بها الإنسان ويعلو بها في دنياه قبل أخراه، ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ "خَلق السماوات والأرض بالحق وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقول إلا حقا كما يقول الإمام، ولعل حياة البشر وشقوتهم ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح وإلى تسلط الأكاذيب والأوهام على أنفسهم وأفكارهم، فأبعدتهم عن الصراط المستقيم وشردت بهم عن الحقائق التي لابد من التزامها"[2]، والخروج من هذه البوتقة المنتكسة التي تودي بالخَلق إلى الظُّلمات خروج يُحيلنا إلى جادة النجاة وإلى رحابة الفطرة السليمة، لا يكون إلاَّ بالتحلي بالأخلاق التي رسم دربها وطريقها الرسول الكريم، وسنَّها له الشارع الحكيم. قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. [3]

و من مستلزمات القول السديد تحلي صاحبه بالتقوى ومن تحقق عنده هذا سيتولاه الله ليصلح عمله ويغفر ذنبه ونص الآية واضح صريح.

[1] المصدر السابق، ص8.

[2] المصدر نفسه، ص 39.

[3] سورة الأحزاب، 70.

ويقول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الصدد: « **تحلَّوْ بالصدق وإن رأيتم الهلكة فيه فإن فيه النجاة**»[1]، ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأن وتحريه في كل قضيَّة دِعاية ركينة في خلق المسلم وصبغة ثابتة في سلوكه.

وتبعا للإستراتيجية الدينامية النفسية أو كما يقول علماء النفس، فإن المؤلِّف بمخاطبته للعقل الباطن للقراء و المستمعين على حد سواء، كان يخاطب الاحتياجات والمخاوف وحتى التصرفات التي يقوم بها الناس لا لشيء إلا محاولة منه لتغيير ما يشوبها من خلل ونقص وجهل في آن واحد لأن الخلل إن سُدد والنَّقص إن عوّض والجهل إن أُنير دربه كُشفت الغمَّة واستبانت الحكمة ووصل مؤدي الرسالة إلى الهدف المنشود والأمر المقصود، فذهب كل أمر قد خالطه ظنٌّ أو ريب وهنا النجاة، قال (صلى الله عليه وسلم): « **دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصّدق طمأنينة والكذب ريبة**».[2]

ثم لابد للإنسان أيا كان إن هو تحرَّى الصدق في كل أمره ،التخلص ولا ريب من الكذب والافتراء وغيرهما من علامات النفاق التي لا تزيد الناس إلا بعدا عن هذا الدين ومنهجه القويم، لما فيها من فساد عظيم، يستشهد الإمام بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾. [3]

ونص الآية واضح صريح في وصف حال من يكذب ، يقول الشيخ: " والكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في صاحبها وعن سلوك ينشئ الشر إنشاءَ ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة أو طبيعة قاهرة..، إن هناك رذائل يلتاث بها الإنسان، تشبه الأمراض التي تعرض للبدن ولا يصح منها إلا بعد علاج طويل، كالخوف الذي يتلعثم به الهيابون، أو الحرص الذي تنقبض به الأيدي".[4]

---

[1] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب، ص1081.

[2] المرجع نفسه، ص 1080.

[3] سورة النحل، الآية،105.

[4] المدونة، ص 35.

وإن كان "الغزالي" بعد كلامه هذا أبان شيئا عن تلك الأمراض التي تصيب النفوس قهرا ولا تكاد تخفى عن أحد إلا لتراها في آخر، وكأنَّه يُهوِّن أمر الخوف والحرص كون النفوس قد جبلت عليها ويُهوّل أمر الكذب وهذا بقوله: "وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوساوس الحرص أو الخوف عندما يوقفون في ميادين التضحية والفداء!! ولكنه لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خُلقا ويعيشون به على خديعة الناس".[1] قال:(صلى الله عليه وسلم) ": « **يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب** ».[2]

وهذا ما حاولنا قوله قبل هذا ويؤكده حديث آخر للرسول عليه الصلاة والسلام « **أنا زَعيم ببيت وسط الجنَّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا** ».[3]

إنَّ الإسلام حرص أن تكون القاعدة الأولى والركيزة المنطلق منها حرص أن تكون سليمة نقية، "فالإسلام يوصي أن نغرس فضيلة الصّدق في نفوس الأطفال، حتى يَشبّوا عليها، وقد ألقوها في أقوالهم وأحوالهم كلها".[4]

وهذا ما يؤكده الرَّسول الكريم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرَّسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: « **من قال لصبيّ: تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة** ».[5]

وفي هذا نص واضح تمام الوضوح على وجوب استقامة المنشأ وسلامة المنبت يقول الغزالي " فأنظر كيف يعلم الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأمهات والآباء أن يُنشؤا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبا صغيرا وهو عند الله عظيم"[6]، وقد لا نجد نصا من الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم تبيّن سدَّ أي ثغرة وإن كانت صغيرة تُحتقر على أنها في الإسلام تودي للمهلكة وسوء العاقبة إلا قوله (صلى الله عليه وسلم) "لأسماء بنت

---

[1] المصدر السابق،ص 36.

[2] المنذري ، صحيح الترغيب والترهيب ،ص1082.

[3] المرجع نفسه ، ص1080 .

[4] المدونة،ص37.

[5] المنذري،صحيح الترغيب والترهيب،ص1084.

[6] المدونة، ص38.

يزيد حين قالت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه، يعد ذلك كذبا ؟ " قال: «**إن الكَّذب يكتب كذبا حتى تكتب الكُذيبة كُذيبةً** ».[1]

إن المتأمل فيما أورده " الغزالي" في باب الصدق –إن صح التعبير– يجد أن الأخير حاول لفت الأنظار إلى هذا الخُلق الحميد بأن عدد مناقبه وأبان ركائزه، ثم دعا إلى التحلي به ورغّب في الاستمساك والعمل به أيضًا، مبرزًا بعدها مردّ كل هذا من حسن عاقبة ومآل، ثم بدأ في الجزء الثاني من الخطة بتحديد المرض و تشخيصه، ألى و هو الكذب، قام بعدها بالنَّهي و الزجر عن الاقتراب من هذا المرض و أبان الحكمة من ذلك، " بحمولة الفساد التي ينطوي عليها "، أردفه بذكر بعض معاملاتنا ككبار و سلوكاتنا كراشدين، و انتهى إلى ضرورة بتر هذا الخبث من جذوره و نحن صغار.

من الدَّال جدًا أن نشير إلى البلاغة الإقناعية التي ضمَّنها الغزاليُّ جمالاً فنياً، و ذلك في وضوح كلامه و بيان مقصده و قوة استشهاده، و قد تُرجم هذا في أسلوبي الترغيب و الترهيب أولاً، ثم في التَّدرج فيما أسماه علماء النفس " بالإستراتيجية الدينامية النفسية " ثانيا، و التي مقصدها الأساس تغيير البناء النفسي للفرد، و هذا ما خلصنا إليه في كون المؤلف ركز على الجانب النفسي و العاطفي محاولة منه تعديل الإدراك الذي يختلج النفوس.

ثم و تماشيا مع روح الجماعة و سلوكها الذي لا ترضى الخروج عنه، " من عادات و قيم و تقاليد " تتماشى و الفطرة السليمة، و هذا ما يسميه أيضا علماء النفس " بالإستراتيجية الثقافية الاجتماعية "[2] في كون المحيط فاعلاً أساساً في البناء النفسي و الثقافي للفرد، سعى الغزاليُّ في الأحاديث الأخيرة التي سقناها إلى بيان محاولة الرسول (صلى الله عليه و سلم) تنقية المنشأ و المحيط حتى نتفادى النمو و النشوء المشوب بالعِلَلْ... .

[1] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب،ص1084.

[2] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص 84.

طالما مرَّ بنا لقب " الصادق الأمين " إن فيما قرأناه أو سمعناه على الأقل و هو لقب أطلق على الرسول (صلى الله عليه و سلم).

و طالما كانت الأمانة رديفة للصدق إذن، و نحن بدورنا لنْ نخرج عن هذا النمط أو نشذَّ عنه ، و عليه فإنَّ الإسلام قد حث على الأمانة و جعلها ركيزة من ركائز السلوك في هذا الدين " فالأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، و هي ترمز إلى معانٍ شتى، مناطها جميعا شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، و إدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه" [1]، و قد جاء في الحديث: «**كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيَّته فالإمام راعٍ و مسؤول عن رعيته، و الرجل راع في أهله و هو مسؤول عن رعيته، و المرأة في بيت زوجها راعية و هي مسؤولة عن رعيتها و الخادم في مال سيده راع و هو مَسؤولٌ عن رعيته**».

قال بن عمر راوي الحديث – سمعت هؤلاء من النبي (صلى الله عليه و سلم)، و أحسبه قال: « **الرجل في مال أبيه راع و هو مسؤول عن رعيته**».[2]

يؤكّد الحديث لزوم كل شخص بما ائتمنه الله عليه في أهله و ماله و جميع حاله و هذا واجب كل مؤمن عاقل يعرف حق ربّه، لكنَّ " العوام من الناس يقصرون الأمانة في أضيق معانيها و آخرها ترتيبا، و هو حفظ الودائع مع أن حقيقتها في دين الله أضخم و أثقل". [3]

و حتى نعرف عِظم التصاق الأمانة بالدين و أنها ركن ركين فيه، تَضطَلع بقدر إيمان الناس و تَنخلِع بضعف هذا الإيمان، يروي لنا " أنس " رضي الله عنه قائلا: « **ما خطبنا رسول الله إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، و لا دين لمن لا عهد له** ».[4]

يعود الغزاليُّ مرة أخرى لاستبيان خُلق آخر قلَّما ينفصل عن الصدق ألا و هو الأمانة فيبدأ بتعريف عام لها، يردفه بحديث الرَّسول (صلى الله عليه و سلم) حديثٌ، حمل في طياته و بين سطوره معنَى الأمانة و قيمتها بحق، لكنَّ الملاحظ هنا هو لما اختار المؤلف هذا الحديث

---

[1] المدونة،ص 45.

[2] البخاري،الأدب المفرد، ص79.

[3] المدونة، ص 45.

[4] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب، ص1102.

دون غيره...؟؟ يفضي بنا حسنا التأويلي و التحليلي " أن الغزاليَّ " تعمّد سَوق هذا الحديث لأنَّ فيه تعريفا بسيطا و شاملا عن الأمانة، و لماَّ كان قد ذكر سابقا تعريفا أوليا للأمانة تبعه هذا التعريف مباشرة، تنبري هنا فكرة جذب الانتباه و عملية وخز المتلقي، و هذا ما دل عليه التِكرار سواء في التعريف أولا أو فيما تضمَّنه الحديث أصلا من تكرارات نحو: " كلكم راع "، "مسؤول عن رعيته " .

يبدو إذن أنَّ المؤلِف كان يحاول لفت انتباه المتلقين من أول وهلة بهذا التوكيد اللَّفظي للرَّسول الكريم هذه الإعادة ، و ذلك لقيمة ما سيتحدَّث عنه و يقوله، و ما التكرار هنا إلا لتقرير المعنى و تأكيده فطالما كان التكرار هدفا للمعلمين أو من يقومون عادة بالتلقين و الخطابة طالما كان ركيزة يتَّكئون عليها لتثبيت المعنى و حفظه و ترسيخه في العقول و الآذان و الأنفس و الأذهان و قد ذكرنا في الجزء الأول من الرسالة أن علماء الاتصال يؤكّدون أن إعادة الرسالة على المتلقي و تحديدا بعض الكلمات و الجُمل و المعاني يساعد كثيرا على" إقناع المتلقي و يذكّره بهدف الرسالة من جهة و يثير احتياجاته و رغباته من جهة أخرى ".[1]

و يجدر الذّكر أن كلمة الأمانة قد أُعيدت هي الأخرى أكثر من مرة و هذا في مقدمته عن هذا الخُلق أي قبل أن يسترسل في الحديث عنها و يبدأ بالتغلغل في أعماقها،ثم ينبه الغزاليُّ بعد هذا إلى (اجتناب المرض والحذر منه) ،وهو الخيانة ويوصي بالابتعاد عن طريقها لما فيها من مضرة وفساد ويضرب لذلك أمثلة وشواهد لم يسعنا المقام لذكرها كلها.

ثم ليُعلم أنَّه من تحلَّى بالأمانة سلِم من الخيانة و من سلم من الخيانة فقد إستبرئ لدينه و عرضه، فالسعادة كل السعادة في إتباع أمور الدين و الاقتداء بالنبي الكريم، و الشقاء كل الشقاء في الابتعاد عنه و ارتكاب نواهيه، و لما كانت السعادة القصوى أن يوقى الإنسان شقاء العيش في الدنيا و سوء المنقلب في الأخرى، يسوق الغزالي حديثا يبين كلَّ هذا فيقول أنَّ رسول الله (صلى

[1] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص 69.

الله عليه و سلم) جمع في استعاذته بين الحالين معًا فقال: « **اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة** ». [1]

و يردف الغزاليُّ في شرحه للحديث : " فالجوع ضياع الدنيا و الخيانة ضياع الدّين".[2]

إن الأمانة لم تقتصر على الإسلام و تعاليمه فقط ،وهذا ما شهدناه في أمانة الرسول قبل بعثته، ثم إن نحن جئنا لتتبُّع سِير الأنبياء و حياتهم لوجدنا ذلك التَّشابه الكبير في معادن هؤلاء و لا غرو أن يكون هذا، لأن المعادن الأصيلة لا تصدأ، و عليه " فقد شوهدت مخايل الأمانة على "موسى" حين سقى لابنتي الرجل الصالح و رفقا بهما، و احترم أنوثتهما، و كان معهما عفيفا شريفا "[3].

و القرآن يذكر لنا جانبا من هذا الخُلق العظيم لنبيّ الله موسى، قال تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[4] .

لا شك إذن " فرسل الله يُختارون من أشرف الناس طباعا و أزكاهم نفوسا و النفس التي تظلُّ معتصمة بالفضيلة على شدة الفقر و وحشة الغُربة هي لرجل قوي أمين و المحافظة على حقوق الله و حقوق العباد تتطلب خُلقا لا يتغيَّر باختلاف الأيام بين نعمى و بؤسى، و ذلك جوهر الأمانة." [5]

لقد استبطن "الغزالي" و لا شك قيمة الأمانة جيدا، و قيمة الرّسالة التي يجب عليه إيصالها، فراح يمزج الأساليب البلاغية و الفنية ، بذكر التكرار تارة و التوكيد تارة أخرى وهذا في حد ذاته من البلاغة الأسلوبية و الإقناعية، حيث أنَّ "الغزالي" سعى جاهدا لكسر الروتين تجاوزا

[1] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح محي الدين عبد الحميد،المجلد1،دار الفكر،(د.ط) ،(د.ت)،ص91.

[2] المدونة، ص 46.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] سورة القصص، الآية 34-36.

[5] المدونة ، ص 46.

لما قد يصيب المتلقين من ملل، و ذلك بتغيير أسلوبه من حين لآخر و هذا ما سنلحظه فيما سيأتي.

يستعرض لنا "الغزالي" حادثة وقعت لنبي الله موسى (عليه السلام) و كانت لفتاتين تحاولان السِقاية، أمام حشدٍ من الرجال فتولى نبيُّ الله أمرهما و سقا لهما و بقية القصة معروفة تُرى ماذا قصد "الغزالي" حين ساق لنا هذا الشاهد القرآني ؟! هنا قد تعددت الآراء لتخطئ و تصيب لأنَّ الأمر مفتوح للتأويل و التحليل، لكن نرى أنه من جملة ما سعى إليه المؤلّف بعد أن جرَّ لنا جملة من الأحاديث النبوية هو تغيير نمط السرد من جهة و الذي تطلَّب تغييرا في الشاهد ليأتي بآية تحمل قصة فيها من العبرة ما فيها من طهارة موسى (عليه السلام) و أمانته، فهو حديثٌ عن الأمانة لكنَّه اختلف عن سابقيه، ثمَّ هو أيضا و من جهة أخرى يحمل شيئا من احتياجات و رغبات المتلقين، في أنَّ الأمر لم ينتهي عند أمانة موسى (عليه السلام) فقط، بل إنه قد جرَّ عليه خيرًا و فيرًا بعد ذلك تجلى في أن استأجره ولي الفتاتين ثم هو عرض عليه الزواج من إحداهما و قد حصل هذا بالفعل بعدها.

ليس من الهيّن إطلاقا أن يتساهل الإنسان في أمور دينه، كي لا تخبوا معالم الإيمان بين جَنبيه، ولكي تبقى جذوة الحق منيرة لدربه في هذه الدنيا، عليه أن لا يتوانى لحظة في ما أمره به الحق "عَزَّ و جَلَّ".

و الأمانة من جملة ما أُمرنا بالحفاظ عليها وكذا صيانتها " فالأمانة فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل، و قد ضرب الله المثل لضخامتها، فأبان أنها تُثقل كاهل الوجود كله، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يُفرّط في حقها".[1]

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾.[2]

[1] المدونة، ص 53.

[2] سورة الأحزاب، الآية 72.

إنَّ شيئاً ثقُل على الجبال و الأرض و كذا السماوات لَحَرِيٌ أن يُثقل كاهل الإنسان لكن للجهل آذان صمًا و عيونا عميًا قلَّما تنزاح به إلى سبيل الحق.

يُدرج الغزالي مرة أخرى و بنوع مختلف شاهدًا قرآنيا حمل في طياته توكيدًا لفظيًا.

فالآية الكريمة فيها إخبار واضح عن قيمة الأمانة و قدرها، أيًا كانت هذه الأمانة باختلاف تفاسير الآية، إلاَّ أنَّ الأمانة تبقى ذات شأن عظيم و إلاَّ لما عرضها الله على (السماوات و الأرض و الجبال)، كما حملت الآية تأكيدًا على ذلك بتكرار حرف (إنَّ) فهذا الحرف جاء بداية الآية تنبيها و تأكيدا، ثم جاء آخر الآية بيانا و توثيقا، و ما هذا التوظيف إلاَّ ليزيد المعنى قوةً و تأكيدًا.

2.الحلم و الصفح:

إنَّ الإسلام دين رحمة و فُسحة، و إنَّ الحَسرة كلَّ الحسرة إذا لم يجد الإنسان في قلبه أو حتى معاملاته شيء من طول أناة و كظم غيض و فسحة صبر و هذا كله مفتاح للرَّحمة كي تدبَّ في أرجاء سلوكات الإنسان عموما، ثم إن الناس تختلف باختلاف مخالطة الدّين كل حسب قدرته و اجتهاده و ليس الثبات أمام مصاعب الحياة إلا نتاج القدرة البشرية على التمسك بعرى الإيمان و الدين القويم، " فمن الناس إذن من تستخفُّه التوافه، فيستحمق على عجل، و منهم من تستفزُّه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم متحفظا برجاحة فكره و سجاحة خُلقه".[1]

و لا ريب أنَّ هذا يرجع بشكل كبير إلى الطباع الأصيلة. فالذي ينشُد الكمال و يسعى دائما لتزكية نفسه من الأدران و الأكدار التي تخلفها بعض المعاملات مع الناس و كذا السلوكات التي تلحق إزاء الاشتراك و الاختلاط بهم، لا ريب أن هذا تُرجى له النجاة كونه قد حلَّق خارج السرب ناشدًا أهدافًا أسمى و خصالاً أنقى و حياة أزكى و ليس هذا إلاَّ عن جهاد نفس و اتساع صدر و التماس أعذار و العكس بالعكس، فمن أكثر التحقيق و أتبع الخطأ مثله عاش مهموما لا تفارقه الضغينة، تعيسَ النفس، ضيَّق الصدر خرب الذِّمة و هذا إن لم تتداركه رحمة ربه جاز ضمُّه إلى من قال فيهم الشاعر: " أحياء فوق الأرض أموات " يقول الغزالي " وقد رأينا الغضب يشتطُّ

[1] المدونة، ص 108.

بأصحابه إلى حدّ الجنون عندما تقتحم عليهم نفوسهم ويرون أنهم حُقّروا تحقيرا لا يعالجه إلا سفك الدم،، أفلو كان الشخص يعيش وراء أسوار عالية من فضائله يحس بوخز الألم على هذا النحو الشديد؟!كلا. إن الإهانات تسقط على قاذفها قبل أن تصل إلى مرماها البعيد ".[1]

و قد نـرى مـثل هذا كثيرا يَرِدُ في قصص القرآن الكريم مع الأنبياء و أقوامهم و من هذا حِلْمُ هود (عليه السلام) و هو يستمع إلى إجابة قومه بعدما دعاهم إلى توحيد الله قال تعالى: ﴿إنّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَال يا قَوْمِ لَيْس بِي سَفَاهَةٌ ولَكِنّي رَسُولٌ مِن ربِّ العَالَمِين، أُبَلّغُكُم رِسَالاتِ رَبِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِين ﴾.[2]

يقول الشيخ: " إنَّ شتائم هؤلاء الجُّهال لم يَطش لها حلم هود لأن الشُّقة بعيدة بين رجل اصطفاه الله رسولاً فهو في الذؤابة من الخير و البر و بين قوم سفهوا أنفسهم و تهاووا على عبادة الأحجار يحسبونها لغائبهم تضر و تنفع."كيف يضيق المعلم الكبير بهرف هذه القطعان. [3]

لقد حاول الرسول (صلى الله عليه و سلم) بشدَّة إلجام النفوس و تربيتها بمنهاج الدّين و قد أراد الرَّسول الكريم " أن يعلم أصحابه هذا الدرس في الأناة و ضبط النفس "،[4] و في هذا أمثلة عديدة إختارها الغزالي سنستدل بشيء منها.

يُروى أن أعرابيًا جَلفا أتى رسول الله و هو يقسم الغنائم فقال له: أعدل فهذه القِسمة ما أريد بها وجه الله. فلم يزد في جوابه أن بيَّن له ما جهله و وعظ نفسه و ذكَّرها بما قال له فقال: « **ويحك فمن يعدل إن لم أعدل، خِبتُ و خسرتُ إن لم أعدل** ».،[5] و نهى أصحابه أن يقتلوه حين همَّ بعضهم بذلك.

و الحديث أمانة فيه من حلم و صفح الرَّسول وكذا تواضعه ما فيه، ثم هو من جهة أخرى يستنكر الغضب و يسد أبوابه.

---

[1] المدونة، ص 108.

[2] الأعراف، الآية 66-68.

[3] المدونة، ص 109.

[4] المصدرنفسه، الصفحة نفسها.

[5] مسلم أبو الحسين بن الحجاج،صحيح مسلم،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، مصر،د ت، ص473.

و عن ابن مسعود قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : « **ما تعدون الصرعة فيكم؟ قالوا الذي لا تصرعه الرجال. قال: و لكنه الذي يملك نفسه عند الغضب** ».[1]

" إنَّ من الناس من لا يسكت عنه الغضب، فهو في ثورة دائمة و تغيُّض يطبع على وجهه العبوس،إذا مسه أحد ارتعش كالمحموم، و أنشأ يُرغي و يزيد و يلعن و يطعن، و الإسلام بريء من هذه الخلال الكدرة "[2].

و لم يجعل الشارع الأخلاق تصل إلى ما وصلت إليه من قيمة إلاَّ لأنها تسمو بالإنسان و تزكيه من دونية الحياة و تغنيه عن أحطِّ الصفات و لهذا جُعل العقل، و إلاَّ فإن كثيرا من الدواب خير من الناس.

يقول الغزاليُّ" إن هناك مسلكاً أنبل من الثأر و الغضب و مجازات السيئة بمثلها، و أرضى لله و أدلَّ على العظمة و المروءة، أن تبتلع غضبك فلا تنفجر و أن تقبض يدك فلا تقتص، و أن تجعل عفوك عن المسيء من شكر الله الذي أقدرك على أن تأخذ بحقك إن شئت." [3]

و ليس أدلَّ إذن من قيمة الصفح و الحلم و سعة الصدر من قول الرسول (صلى الله عليه و سلم) فيما يرويه عنه عُبادة ابن الصامت حيث قال: « **ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان و يرفع به الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: تحلم على من جهل عليك و تعفو عن من ظلمك، و تعطي من حرمك و تصل من قطعك** » [4].

و أعظم من هذا أنَّ القرآن الكريم عدَّ هذه الصفات و الشمائل سبيل نجاة و طريق فلاح تسرح بصاحبها إلى الجنات. قال تعالى: : « وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ».[5]

---

[1] البخاري،الأدب المفرد،ص63.

[2] المدونة ، ص113 .

[3] ينظر المدونة: ص 114.

[4] المنذري ،الترغيب و الترهيب ،ص 997.

[5] سورة آل عمران: ص 133-134.

إنَّ المتمعن جيدا فيما أورده الغزاليُّ" رحمه الله" في هذا الجزء تحديداً و المتعلق بباب "الحلم و الصفح " يرى دون شك ذلك الأسلوب الراقي الذي حاول إزاءه بسط أفكاره و إيصال معانيه بلُغة فذَّة و أسلوب بليغ و شواهد أقل مما يمكن أنْ نقول فيها أنها مُدحضة معجزة، بليغة مقنعة و كيف لا وهو لم يَسق لنا إلاَّ شواهد من "القرآن و السنة" فهذا كلام الله و ذاك وحي نبيه و كفا بهذين إبلاغا و إقناعا.

لقد ذكرنا سابقا أهمية ما يسميه علماء النفس "بإستراتيجية بناء المعاني" في كون المعاني ترتبط مباشرة باللُّغة، و ما للغة من تأثير في النفوس لما تتركه من أثر و وقع فيها، فطالما كان لكل إنسان حمولته المعرفية و الفكرية التي يرقى بها و تميزه عن غيره، و لا شك أنها ترتبط باللغة الموجهة إليه أو التي يستعملها في خطابه و إيصال أفكاره. فللّغة ثقل كبير و وزن عظيم يجعل الإنسان يذهب يمنة و يسرى، لا لشيء إلا لأثرها العميق و البليغ في إقناعه و إشباع نهمه و حاجته و هذا ما نرى أن الغزاليَّ قد وصل إليه و اعتمد عليه في هذا الجزء.

فحسن الألفاظ و قوة العبارات و كذا براعة التركيب التي استعملها الأخير في هذا الجزء تحديدا، نرى من جانب تأويلي و حس بلاغي أنها قد أبلغت المراد، و عليه فقد جسَّدت "إستراتيجية المعنى" و هي إحدى وسائل و أهداف الإقناع.

إنَّ ألفاظا و تعبيرات مثل " من تستخفه التوافه فيحمق على عجل " وإنَّ شتائم هؤلاء الجُهال لم يطش لها حلم هود... فهو في الذؤابة من الخير و البر ..."، و نحو قوله: "كيف يَضيق المعلم الكبير بهرف هذه القطعان"، و قوله : "إذا مسه أحد ارتعش كالمحموم و أنشأ يرغي ..." و غيرها من عبارات نرى أن فيها إبداعا و جمالا لم يستوجب تكلُّفا أو تصنعا، ثم إنَّه بين الفينة والأخرى يأتيك بشاهد قرآني أو دليل من السنة النبوية يدعم به آرائه وأفكاره لتكون حُليًّا تزين كلامه فإن عجز هو عن تبليغ مرماه فكفى بالأسلوب القرآني الذي يعتبر أرقى و أعظم الأساليب البلاغية على الإطلاق، لما يحتويه نظمه و معناه من إعجاز لغوي و معنوي، كفى به بلاغة و إقناعا. لأنه حجَّة على عباده الله إلى قيام الساعة و حسبك هذا.

3.أدب الحديث:

نصعد درجة أخرى في سلم الأخلاق و أي درجة، فطالما كان لطف الحديث و سلاسته سهما يصيب أهدافه بدقة عالية ،لا لشيء إلاَّ لأنّ النفس البشرية طبعت على الخير أولا و لأنّ القلب تستدرجه اللّطافة و ترهقه الحلاوة و تأسره البلاغة ثانيا. " و علوم اللغة و الآداب العربية قد أصابها من الجمود و التحجر ما أصاب سواها من علوم الثقافة الإسلامية حتى"[1] ، فلا سبيل إلى أن ننهل من مصدر نقيّ و ينبوع صافٍ إلاَّ بالرجوع إلى كتاب الله و سنَّة نبيه فهناك أرقى الكلام و أعذب البيان " ثم إنَّ الأخير من أجَلّ النِعم التي أسبغها الله على الإنسان و كرمه بها على سائر الخلق، قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.[2]

يقول الغزالي"و على قدر جلال النِعمة يَعظُم حقها و يستوجب شكرها، و يستنكر كنودها "[3]، لكن الزَّيغ كل الزيغ في عدم الاستفادة من هذه النعمة و التمتع بها على الوجه المشروع، "و قد بيَّن الإسلام السبيل إلى هذا كي يجعل الناس كلامهم الذي يتردد سحابة النهار على ألسنتهم طريقا إلى الخير المنشود، فأكثر هؤلاء لا ينقطع لهم كلام و لا تهدأ لألسنتهم حركة،فإذا ذهبت تحصي ما قالوا، وجدت جله اللغو الضائع أو الهذر الضار".[4]

و نجد أن هذا حال الناس اليوم بالفعل، فما قدر الناس النّعم حقها، و لا حسبوا للعقبى شرّ مآبها و ما لهذا ركّب الله الألسنة في الأفواه، قال تعالى: ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.[5]

أفرد الإسلام للكلام و العناية به بابًا كبيرًا آخره حكمة و أجر و أوله جهاد في سبيل الله إن خلص فلا جزاء له إلاّ الجنّة. لكن للكلام سُبلاً و طرائق على المرء أن يعيها و إلاَّ كان كل

---

[1] لطفي عبد البديع، التركيب النحوي للأدب، دار المريخ، الرياض (السعودية)، 1989، ص 7.

[2] سورة الرحمٰن، الآيات: 1-4.

[3] المدونة، ص 77.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] سورة النساء، الآية، 114.

ما يقول هرفا و هذرا، فينبغي أن يسائل المرء نفسه قبل أن يتحدث إلى الآخرين...، هل هناك ما يستدعي الكلام؟ فإن وجد داعيا إليه تكلم، و إلاَّ فالصمت أولى به و إعراضه عن الكلام حيث لا ضرورة له عبارة جزيلة الأجر".[1]

و الرَّسول الكريم كان يعلّم أصحابه الحكمة و الصمت إن لم يكن هناك بدٌ من الكلام لأنه وقار و هيبة و إفحام شيطان، قال صلى الله عليه و سلم: ناصحًا أبا ذر: « **عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان، و عون لك على أمر دينك** ».[2]

و ليس أدل على فقه الصحابة لمنهاج النبوة في قول "عبد الله ابن مسعود" (رضي الله عنهما): " و الذي لا إله غيره، ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان ".[3]

و إن كان هذا على سبيل الذكر لا الحصر، فمواقف أصحاب رسول الله عديدة و مناقبهم جليلة.

يقول الغزاليُّ " إنَّ للثرثرة ضجيجًا يذهب معه الرشد... و المرء حين يريد أن يستجمع أفكاره و يراجع أعماله يجنح إلى الصّمت بل إنّه حين يريد أن يبصر نفسه و يرتّب ذهنه يفر من البيئة الصاخبة إلى ريف صامت أو ضاحية هادئة ".[4]

لا جرم إذن حين أوصى الإسلام بالصمت فهو مذهب للحكماء و سبيل للبلغاء، لا يزيد النفوس إلاَّ تربيةً و تهذيبًا، و هو من كمال الإيمان قال (صلى الله عليه و سلم): «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه و لا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** ».[5]

يقول "الغزالي" و أول مراحل هذه الاستقامة، أن ينفض يديه مما لا شأن له به و ألاَّ يقحم نفسه فيما لا يُسأل عنه « **فمن حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه** ».[6]

---

[1] المدونة، ص 77.

[2] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب، ص996.

[3] المرجع نفسه، ص994.

[4] المدونة، ص 78.

[5] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب، ص965.

[6] الترميذي، الجامع الصحيح،ص707 .

ثم إنّ الإسلام ما دعى إلى الصمت و التكلم إلاَّ عند الحاجة لما في ذلك من درئ مفسدة عظيمة هي " اللَّغو" و الخوض في أعراض الناس و انتهاك ما حرم الله.

هكذا كان" البعد عن اللغو من أركان الفلاح، و دلائل الاكتمال، و قد ذكره القرآن الكـريم بين فريضتين من فـرائض الإسلام المحكمة، هما الصـلاة و الزكاة"[1]، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾.[2]

و حسب المرء أن يعي هذه الآية و يتدبر فيها جيداً كي يعلم علم اليقين ما للغو من أثر مشين يهلك صاحبه،" فلو أن العالم أجمع، أحصى ما يشغل فراغه من لغو في القول و العمل لراعه أن يجد أكثر القصص المنشورة، و الصحف المشهورة، و الخطب و الإذاعات، لغوا مطرداً تعلق به الأعين و تميل إليه الآذان، و لا ترجع بطائل" ![3]

لقد حذَّر الرَّسول الكريم من مغبة "اللغو" كونه من سفاسف الأمور لا يُغري إلاَّ أصحاب التفاهات و أصحاب العقول الضعيفة و القلوب المغلقة، " فاللاغي لضعف الصلة بين مكروه و نطقه، يرسل الكلام على عواهنه، و ربما قذف بكلمة سببت بواره و دمرت مستقبله، و قد قيل: من كثر لفظه كثر غلطه: قال الشاعر:

يَمُوتُ الفَتى مِن عَثْرةٍ بِلسَانِه وَ لَيْسَ يَمُوت المرءُ مِنْ عَثرَة الرِجلِ".[4]

و في الحديث: « **إن العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلا ليضحك المجلس، يهوي بها أبعد ما بين السماء و الأرض؟ و إن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه؟!** ».[5]

و الإنسان لا يزال يعوّد نفسه حتى تعتاد، فيا حبذا أن يعودها على الكمال، و من الكمال القول الجميل و الفعل الحسن، لأن هذين بالخصوص لا يخرجان عن طواعية القلب فإنه

---

[1] المدونة ، ص79.

[2] سورة المؤمنون، الآيات: 1-4.

[3] المدونة، ص 79.

[4] المصدر نفسه،الصفحة نفسها .

[5] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب، ص1060.

على الأغلب إن حسن الظاهر في القول و العمل حسن التعبير عما يجول في النفس، و هذا أدب عالٍ و مرتب غالٍ " أخذ الله به أجمل الديانات جميعا. و قد أوضح القرآن أن القول الحسن من حقيقة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل على عهد موسى"،[1] قل عز و جل:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾.[2]

ثم إن القول الخيّر ليس يحاط بمكان أو يصلح في زمان دون آخر. "فالكلام الطيب العفُّ يجمل مع الأصدقاء و الأعداء جميعا، و له ثماره الحلوة. فأما مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم و يستديم صداقتهم و يمنع كيد الشيطان أن يوهي حبالهم و يفسد ذات بينهم".[3]

﴿ وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.[4]

إنَّ الله قد أوضح لنا الأمر كله منذ البداية حتى يستبين حين وصف لنا حال إبليس و هو يتوعَّد أبانا آدم(عليه السَّلام)، و لا يجري في خلد عاقل يؤمن بالله و رسوله أن يتساهل مع هذا الأمر و يفتح الأبواب لذلك، فالشيطان يجري من البشر مجرى الدم، أو كما يقول الرسول الكريم و الواجب أن تُوصد الأبواب دون ذلك.

يقول الشيخ: " إنَّ الشيطان متربّص بالبشر، يريد أن يوقع بينهم العداوة و البغضاء و أن يجعل من النزاع التافه، عراكا داميا، و لنْ يسدَّ الطريق أمامه كالقول الجميل، و أمَّا حسن الكلام مع الأعداء فهو يطفئ خصومتهم و يكسر حدتهم أو هو على الأقل يوقف تطور الشر و استطارة شرره".[5]

---

[1] المدونة، ص 80.

[2] سورة البقرة، الآية 83.

[3] المدونة، ص 80.

[4] الإسراء، الآية 53.

[5] المدونة، ص 80.

قال عزل و جل: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾.[1]

و نصُّ الآية واضح بيّن، فكيف تستوي حسنة بسيئة، و شتان بين من يغلب أدبه و لطفه تعبيره، و من يكون لغوه غلابا و يفتح قبحه للجهل أبواباً، قال (صلى الله عليه و سلم): « **إنَّكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم، فَليسَعهم مِنكم بسط الوجه و حسن الخلق** »،[2] يقول الغزاليُّ بل إنه يرى الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة، قال تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.[3]

و ليس هذا غريبا في منهاج الأنبياء جميعا فالشارع الحكيم دائما ما كان يؤثر كمال النفوس و تربيتها و إن بلطيف القول.

لقد حاول الإسلام القضاء على كل ما هو منبّة الصلة عن الفطرة السليمة خارج عنها حتى أنَّ الجدال لا يكون إلا مسبوغا بلطف و بحسنى و إن كان مع من يخالفونا الدين، و هذا من سماحة الإسلام و كماله حتى و إن تحلّوا بالفضاضة و السفاهة.

إن من الناس "من يعيش صفيق الوجه شرس الطبع لا يحجزه عن المباذل يقين و لا تلزمه المكارم مروءة، و لا يبالي أن يتعرض للآخرين بما يكرهون فإن وجد مجالا يشبع فيه طبيعته النزقة الجهول، إنطلق على وجهه لا ينتهي له صياح و لا تنبجس له شرة".[4]

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾،[5]

و الشريف كما قيل لا يتّضع مع الصَغار و لا ينبغي للعاقل أن يخوض مع هؤلاء " فإن استثارة نزقهم فساد كبير و سدّ ذريعته واجب، و من ثمَّ شرَّع الإسلام مدارة السفهاء".[6]

---

[1] سورة فصلت، الآية 34.

[2] المنذري، صحيح الترغيب والترهيب،ص999.

[3] سورة البقرة، الآية 263.

[4] المدونة، ص81.

[5] سورة العنكبوت، الآية 46.

[6] المدونة، ص 82.

و القرآن يصف كيف نتعامل مع هؤلاء. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾،[1] و قال أيضا: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[2]، فإن المسلم الحق من لا يعبئ بهؤلاء و يضرب أقوالهم عرض الحائط فلا يلقي لها بالا.

يجدر الذّكر أن جهالة الجهال قد تصل حدَّ التطاول على العرض أو الدِّين فيجب على الإنسان هنا أن يردَّ اعتداء هؤلاء و يكبح جماح كل أثيم تسوّل له نفسه.

" و مدارة السفهاء لا تعني قبول الدَّنية، فالفرق بين الحالين بعيد ! الأولى ضبط النفس أمام عوامل الاستفزاز و الأخرى بلادة النفس و استكانتها إلى الهون! و قبولها مالا يرضى به ذو عقل أو مروءة ".[3]

و القرآن يصف الحالين قال عز و جل: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا إ ن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.[4]

وجب على المرء أن يتجنَّب كل ما فيه ريب أو ما قد يجعله يخوض في دنايا الأمور و سفاسفها ،"فمن الضَّمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة الكلام عن النزق و الهوى تحريمه الجدل و سده لأبوابه حقا كان أو باطلا".[5] و من هذا يقول صلى الله عليه و سلم: « **ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلاَّ أوتوا الجدل** ».[6]

ثم إنَّ آلة الجدل ليست لأيٍّ كان "فالجدال في الدّين و الجدال في السياسة و الجدال في العلوم و الآداب، عندما يتصدَّى له نفر من البلغاء و الأدعياء من الذين يلوون ألسنتهم لا يريدون إلاَّ الكلام والمباهاة و الاستطالة به، هذا يفسد به الدين، و يفسد السياسة و العلوم و الآداب"[7].

---

[1] سورة الفرقان، الآية 63.

[2] سورة القصص، الآية 55.

[3] المدونة، ص 83.

[4] سورة النساء، الآية 148- 149.

[5] المدونة، ص 83.

[6] الترميذي، الجامع الصحيح، ص976.

[7] المدونة، 84.

و لو أمعنّا النظر في هذا الكلام لوجدنا أنَّ هذا حقيقة ما نعيشه اليوم، فلعنة الجدل هي من تطغى على ضروب حياتنا حتى أفسدت لنا الدِين و الدنيا.

يبدأ الغزاليُّ في مقدمته عن " أدب الحديث "، بذكر نعمة البيان و يستشهد بعدها مباشرة بآية كريمة حملت في طياتها شيئا عن البيان، و كأن الغزاليَّ يعود مرة أخرى إلى قضية التهيئة النفسية للمتلقي و إن كان لم يبارحها كثيرا، ليأتي بعدها على ذكر مكانة و قيمة البيان في الإسلام، حيث أمر الأخير بالاستفادة من هذه الملكة، و ساق الغزالي لهذا شاهدًا قرآنيا آخر، يبين المكانة التي يجب أن يكون فيها الكلام حتى لا ينقلب خيره إلى شره و يذهب نفعه.

لقد أراد "الغزالي" منذ البداية التأثير على الجانب الانفعالي، أو البناء النفسي للمتلقي و هذا جوهر الإستراتيجية الدينامية النفسية، لأنَّ الحس الانفعالي للفرد إذا تعرض للتنبيه منذ الوهلة الأولى حتما سيؤثر هذا على الجانب العقلي " و هذا ما يسمى بتصيير السامع لحالة نفسية ما" ، و قد ذكرنا هذا آنفا فالعقل يتأثر بتأثر الجانب النفسي و هذه أول خطوة نحو الإقناع ناهيك أن التقديم حوى توكيدًا لفظيا بتكرار كلمة البيان.

و قد نزيد على هذا فنقول أنّ توظيف الشاهدين القرآنيين، لم يترك للمتلقي فسحة حتى يطيش فكره بل على العكس، و هذا ما يسميه علماء النفس و الاتصال " تأثير عكس الذروة " أو " تأثير البداية " و مقصد هذا الأسلوب البلاغي و الإقناعي أن يبدأ بوضع الشواهد الأقوى منذ البداية، و أي حجة أو شاهد أقوى بلاغة من القرآن الكريم.

و كل ما ذكرناه سواء "الإستراتيجية الدينامية النفسية أو التوكيد اللفظي أو الشاهدين " كلها أساليب بلاغية تهدف إلى إقناع المتلقي.

يسترسل بعدها "الغزالي" في الكلام، ليبرز لنا مقام الصمت و الحكمة منه، كونه يغني المرء عن كثرة الحديث خاصة إذا كان بلا طائل و هذا ليبتعد عن اللغو و يتحاشى سمومه و تبعاته و يسوق "الغزالي" لهذا أمثلة و شواهد عديدة، و هذا الذي يلاحظ في هذا الجزء تحديدًا و هو كثرة و تنوع الأدلة و الشواهد، ما بين آيات و أحاديث و حتى أنه استدل بالشعر، و هذا الأخير

لم يرد في الكتاب إلا قليلاً، و نحسب أنَّ هذه الكثرة و هذا التنوع مسحة بلاغية اتكأ عليها "الغزالي" لإيصال رسالته و إقناع متلقيه.

ينتهي "الغزالي" في جزءه الأخير من هذا الباب إلى الحديث عن الكلام الحسن و وجوب اتصاف المسلم باللطف و الحسن في جميع أحواله، ثم يدعوا إلى ترك الجدل و النقاشات العشواء و قد أبان الحكمة من ذلك في كونها تحمل مخزونا فيه من الفساد و النزق ما فيه، و لكل منهما أعطى شواهد و براهين ففي الأولى ساق آيات عديدة كلها تدعوا إلى حسن القول: ﴿و قولوا للناس حسنا﴾،[البقرة/83] . ﴿ يقولوا التي هي أحسن ﴾،[الإسراء/53] ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾،[فصلت/34] و ما التكرار هنا إلا لتقرير هذه الحقيقة، حقيقة السموّ بالأخلاق و تمكينها في النفوس.

و في الثانية حاول "الغزالي" و بشكل لا يختلف عن الأولى الاعتماد على حجج و شواهد من الكتاب و السنة ليبرز أنَّ آية الجدل لا تكون لكل الناس و أنَّ القرآن دعا إلى اجتنابها قدر الإمكان وذلك بصيغة النهي الوارد سواءً لفظًا أو معنىً، بقوله عزّ وجلّ:﴿ولا تجادلوا﴾ [العنكبوت/49].﴿ و لا تستوي﴾،[فصلّت/34].﴿ لا يحب الله ﴾،[النساء/148].

و كل هذا من جهة البناء اللغوي، لكنَّ الباب يبقى مفتوحا للتأويل و كذا التحليل و عليه فنحن نرى و من وجهة نظر شخصية، أنَّ ما ساقه "الغزالي" و أدرجه من آيات كثيرة آخر هذا الباب هو ما يسمى أيضا "بترتيب الذروة" أو "تأثير النهاية" و ذلك في كونه احتجز أقوى و أهم الحجج التي تدعوا إلى حسن القول أولاً و إلى ترك الجدل ثانيا و هذا كله أصل ما جاء في هذا الباب احتجزها إلى النهاية.

لقد أصبح في الحكم الثابت إذن أن كثرة الشواهد و اختلافها، مع تضمين التَّوكيد و صيغ أخرى كالأمر و النهي، ثمَّ لا ننسى قضية ترتيب الذروة و عكسها، أصبح هذا ثابتا كدعامة و ركيزة بلاغية اتكأ عليها الغزالي لإثبات الحمولة الإقناعية التي انطوى عليها كتابه.

الفصل الثاني

بـــــــلاغة الإقناع بالأســـــوب

أولا/الحِجَاج :

1.تعريفه :

1.1 لغة.

2.1 اصطلاحا.

2.الحِجاج في الفكر العربي القديم :

1.2 الجاحظ.

2.2 ابن حزم الأندلسي.

3. ضوابط النص الحِجاجي .

4. خصائصه.

5.الحِجاج العقلي.

ثانيا/ الموضوعية والبعد عن الوعظ الذاتي.

ثالثا/ الصورة الأدبية:

1.التشبيه.

2/ الكناية.

3/ الاستعارة .

2/ الكناية:

أولا/الحِجَاج :

ليس من الهيّن تحديد معنىً دقيق ونهائي للحجاج ،فطالما ارتبط هذا المصطلح ذو الاستعمالات المتعدّدة و السّياقات المختلفة بالخطابات بأنواعها واختلاف مرجعياتها : لغوية دينية ، فلسفية ، بلاغية وقضائية ... و يصبح بذلك الحجاج بعداً من أبعاد الخطاب الإنساني مكتوباً كان أم منطوقاً، وما سيأتي سيكون محاولة لعرض ومقاربة هذا المصطلح من جوانبه اللُّغوية و المفاهيمية المختلفة ثم إبراز قدرته ومكانتها الإقناعية وبلاغته .

1/تعريفه :

1.1/ لغة:

لقد أجمعت "المعاجم اللغوية الأساسية تقريبا في تعريفها للحِجاج على ما جاء في لسان العرب لابن منظور" [1]،والذي يقول فيه : "الحجَّة هي البرهان ،و قيل الحجَّة هي ما دوفع به الخصم" [2]، وقال الأزهريُّ : "الحجة الوجه الذي يكون به الظَّفر عند الخصومة ، وحاجَّه مُحاجةً وحِجاجاً نازعَهُ الحجة، والتَّحاج : التَّخاصم ... "[3]،أما الجرجاني فيقول : "الحجة مادُل به على صِحة الدعوى ، وقيل الحجة والدليل واحد" [4].

وجاء في معجم لالاند : حُجة "Argument"، " استعمال يرمي إلى برهان قضية معيَّنة أو دحضها"[5]،و في المعجم الوسيط: "(احتجَّ) عليه : أقام الحجة وعارضه مستنكراً فعله ،(تَحاجُّوا) : تجادلوا. و(الحُجَّة) : الدَّليل والبرهان"[6] .

---

[1] أمينة رقيق ،بلاغة الخطاب المكتوب، ص 76 .

[2] إبن منظور ،لسان العرب،ج2، ص227.

[3] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، 76.

[4] الشريف الجرجاني ،معجم التعريفات،تح صديق المنشاوي،دار الفضيلة، دط،القاهرة،مصر،1993،ص73.

[5] أندريه لالاند ، المعجم الفلسفي،ص 93.

[6] المعجم الوسيط ،معجم اللغة العربية ، ص156.

2.1/اصطلاحا:

إن دراسة الحِجاج عموماً تكتسي طابعاً بلاغياً وخَطابياً فطالما اندرج الحجاج في البلاغة والخَطابة ولابسهمَا،وقد ذكرنا في الجزء الأول من البحث المرجعيَّة اليونانية بالخصوص، والتي تخصُّ البلاغة والخطابة والحجاج، بداية من السفساطيئيين ، ووصولاً إلى أرسطو، ثم تعرَّضنا بعدها لما جاء به بعض المحدثين كبيرلمان وغيره .

كان هذا فيما يخصُّ الحجاج مرتبطاً بالفكر الغربي، آثارنا الحديث عنه بما يتوافق و خطة البحث، وسنأتي إلى ذكر شيء عن المسار الحِجاجي في الثقافة العربية .

2/الحِجاج في الفكر العربي القديم :

جاء ذكر الحجاج في القرآن الكريم عدة مرات وبمعاني مختلفة : "فقد جاء بلفظ حِجاج وجدل وبرهان ونلمس هذا في آيات كثيرة* ، وكذا الحال في الحديث النبوي الشريف فقد تباين واختلف من حديث إلى آخر "[1]، ثم إنَّ العرب قديما قد أَوْلَو "عنايةً كبيرةً بالحِجاج وقد تجسَّد في العصر الإسلامي لاسيما بعد نزول القرآن الكريم"[2]. وقد ترجم هذا في منظرات العُلماء والخطباء ومناقشاتهم ، "أما بالوقوف عند أقطاب البلاغة العربية قديماً، سنلمح دون شك خوضهم في هذا المجال وسيتأكَّد توظيفهم للحِجاج في مؤلفاتهم وأنه شكل بيئة أساسية في إبداعاتهم"[3] ، وسنأتي على سبيل الذكر لا الحصر على عيّنة من هؤلاء الأعلام والأقطاب .

* سورة البقرة ،الآية257 / والنساء ،الآية 107.

[1] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، ص92.

[2] حسين بوبلوطة، الإمتاع في الحجاج والمؤانسة،إسماعيل زردومي،قسم اللغة العربية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2010،ص15.

[3] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب،ص80.

1.2/الجاحظ :

ذكر في كتابه "البيان والتَّبيين" "ما يتعلَّق بالحِجاج في الفصل الذي تناول فيه البلاغة تحديداً"[1]، وقد حاول "إيضاح هذا المقصود بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية"[2] إذ يقول :" أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللَّحظ متخيّر اللفظ لا يكلم سيد الأُمَّة ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة"[3] ، والجاحظ هنا يشير إلى قضيَّة الإقناع ، وما للصاحب المعنيّ بها من مزايا تخوله صعود هذه المنصَّة ، ثم ما يجب أن يكون لكل مقام من المقال . وإن كان يحث على الغاية دون الوسيلة .

2.2 / ابن حزم الأندلسي :

اشتغل الأخير بالحِجاج كثيراً "وقد زخِرت كتاباته الفلسفيَّة ومنها "الفصل في الملل والأهواء والنّحل" بطابع حِجاجي ، حتى أصبح يلقَّب بالمفكر الحِجاجي"[4] . وقد ذُكر عنه "أنه كان لا يهدئ من السّجال والحجاج والجدال والخوض في ذلك بمناظرات ومناقشات حتى قيل أنه كان يناظر كل شخص يقابله ، لأنَّ المناظرة والحجاج هي الحدُّ الفاصل بين الصدق والكذب"[5] .

وكذا عُرفَ بجداله العنيف، ولم يكن يناظر من أجل المناظرة "بل كان مساهماً في بناء صرح الحقيقة بنزعة عقلية نقدية متمسّكاً بالنّص فهو يرى أن الأدلة العقلية لاتخرج عن شواهد القرآن وبراهين السُنَّة وإجماع الصحابة مستبعداً بذلك أي اشتراك إنساني في المسلك الديني "[6]، يضاف إلى هذين الشخصيَّتين ابن وهب و القرطبيُّ، وأبو هلال العسكري وغيرهم ممن كان له أثر في الحِجاج ومَأخذٌ فيه.

---

[1] المرجع السابق، ص93.

[2] حسين بوبلوطة ،الحجاج في الإمتاع والمؤانسة ، ص17.

[3] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص92.

[4] أمينة رقيق، بلاغة الخطاب المكتوب ،95.

[5] حسين بوبلوطة ، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة ،ص22.

[6] أمينة رقيق ، بلاغة الخطاب المكتوب ،ص 96.

كما أنَّه قد تعرَّض للحِجاج في العصر الحديث أكثر من باحث وإن كانت أعمالهم لم ترقى إلى خَلقِ مضمار جديد للتنافس مع النظراء في الغرب "لتبقى الآفاق والمشاريع الحجاجية العربيَّة الحديثة آفاقاً معتبرة، فقد جاءت مسطَّرة في دراساتٍ و أبحاث وكتب وترجمات ومقالات ...."[1].

ونجد من هؤلاء "أبو بكر العزَّاوي" ومن أهم كتبه :"اللُّغة والحِجاج والاختلاف وغيرها ومن هؤلاء أيضا " طه عبد الرَّحمن "، "وهو من الذين زاوجوا بين الفكر القديم العربي و الحديث الغربي ومن كتبه اللّسان والميزان"[2]. وهناك أيضا "محمد العُمري" والذي نظَّر للحجاج بطابع إقناعي ذو مسحة فلسفية يونانيين و من كتبه " في بلاغة الخطاب الإقناعي" .

أمثلة و أخرى نرى أن المقام يضيق لذكرها كلَّها، لكنَّنا آثرنا على الأقل أن نخصَّها بشيءٍ من الذّكر والتَّقديم وهذا أقل ما يمكن أن نفعله.

3/ ضوابط النص الحِجاجي :

هناك العديد من الضَّوابط التي تميّز النص الحِجاجي عن غيره من النُّصوص الأخرى منها :

- أن يكون الحِجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية .
- عدم وقوع المرسل في التناقض في قوله أو فعله ويجب أن يكون الحِجاجُ موافقا لما يقبله العقل ، وإلا بدا زيفُ الخطاب ووهن الحُجة .
- ضرورة خلوِّ الحجاج من المغالطة و الإبهام والابتعاد عنها .
- امتلاك المرسل الثقافة والسعة .[3]

---

[1] حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة ، ص31.

[2] أمينة رقيق ،بلاغة الخطاب المكتوب ، ص103.

[3] المرجع نفسه،ص98.

4/ خصائصه:

إنّ للخطاب أو النَّص الحجاجي خصائص تميّزه عن غيره وتتمثَّل أهم هذه الخصائص كما أوردتها سامية الدريدي عن " بنوا رونو" في النقاط التالية :

- **القصد المعلن** :

إحداث أثر ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معيَّنة وعموما يعبَّر عنه بالطريقة الإيحائية.

- **التناغم** :

يوظّف التَّسلسل الذي يحكم ما يحدثُه الكلام من تأثيرات سواء تعلَّق الأمر بالفتنة أو الانفعال وتكون له معرفة لنفسيَّة المتلقي وقدراته ويتجلىَّ أيضاً في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام .

- **الاستدلال** :

وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، بالنَّص الحجاجي قائم على البرهنة وإذ أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبا عقلياً للعناصر اللغوية .

- **البرهنة** :

إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال" [1].

وعموماً فهذه من أهم تعاريف الحجاج : فبيرلمان و تيتيكا يقولان :"هو دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدّي إلى إثارة وتعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدمة أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2] ، وعند ماير هو :"دراسة العلاقات للقائمة بين ظاهر الكلام وضمنيّه"[3] أما عند "أندرسين"« Andersen » و "دوفر" « Dover » : "فهو طريقة الاستخدام

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب،دار الكتب الجديدة المتحدة، ط 1 ،بنغازي،ليبيا،2004،ص465.

[2] عادل عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة ،ص 85.

[3] عبد الله صولة،الحجاج في القرآن الكريم ،دار الفرابي،ط1،بيروت،لبنان،2001،ص37 .

والتَّحليل العقلي والدعاوي المنطقية ، وعرضها على النِّزاعات والصِراعات ،واتخاذ قرارات محكمة والتَّأثير في وجهات النَّظر والسلوك."[1]

5/الحِجاج العقلي :

هو البرهان والسيَّاق العقليُّ والمنطقيُّ للحجج والشواهد يهدف إلى الإقناع بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال ، يجدر الذّكر أن هذا العمل لا يخص الحجاج أكثر من البلاغة لكن مقتضى الحال في هذا الجزء من البحث ألزمنا المقال عن الحجاج ، ولأنَّ البلاغة كما أشار إليها "إيجلتون" تشمل كل أنواع الخطاب لاسيما الحجاجي.

يقول " ايجلتون" في حديثه عن البلاغة أنَّ : "البلاغة التي كانت تمثّل التَّحليل النقدي الذي تلقاه الناس بدءاً من المجتمع القديم حتى القرن الثامن عشر ،كانت تفحص الطرق التي تبني الخطابات وفقاً لها كي تحدِث آثاراً بعينها ولم يكن ثمة اكتراث بما إذا كانت موضوعات دراستها كلاماً او كتابةً، شعراً أو فلسفةً، قَصصاً خياليا أو علماً تاريخياً، وقد كان أفقها الَّذي تتحرك فيه مماثلا لحقل الممارسات الخطابية في المجتمع على وجه الإجماع"[2] ، كان لزاماً علينا إذن التحدث والإشارة إلى الخطاب الحجاجي وبيان ماهيته وخصوصياته وإن بشيء يسير.

إنَّ المتأمِل في أسلوب "الغزالي" يجد أنه اتَّكأ على الحجاج العقلي كثيراً، والحجاج هنا ليس لغرض الجدال والمخاصمة دون شك، بل هو ذو صورة عقلية ونسق منطقي، كان يضمّنه كلامه وتفاسيره الموجزة لتقريب معنى الدِين من المنظور الأخلاقي من جهة، ثم محاولة منه إلى لمّ شتات المجتمع بأسلوب دَعوي أدبي وبلاغي من جهة أخرى.

لقد كان حجاج "الغزاليّ" في كتابه هذا، ونعني بحجاجه أسلوبه في البرهنة والاستدلال كان في غالب ما لاحظناه لا يخرج عن الكِتاب والسُنَّة، لا لشيء إلا ليلفِت انتباه كلّ من ستطال يده الكتاب أو يسمع منه أو عنه شيئاً أن لهذا الدّين نفاذه إلى القلوب في الوقت الذي يعرض كثير

[1] حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة ،ص 36.
[2] المرجع نفسه ، ص 36.

من أبناء جلدتنا عنه، نتيجة ما أصابهم وأخلاقهم من عُقد وعِلل (لكن الإسلام شمس لا تغيب إن بارحة رؤوس قوم أنارت عند آخرين).

لاشكَّ إذن أنَّ الخطاب الإقناعيَّ "للغزاليّ" في سعيه الحثيث نحو إبلاغ الرّسالة، اعتمد على أساليب وآليات يدعم بها طرحه وكلامه. وعليه سنحاول عرض شيءٍ من هذه الأساليب التي تخصُّ الحجاج العقلي بالذَّات وكيف كان دور الشواهد و الأدلَّة فيها .

إنَّ من خصائص الحجاج عموما إحداث أثر ما في المتلقي، ولنضرب لهذا مثالاً فيما أورده "الغزالي" في باب الرحمة مثلاً وذلك في قوله : " الرَّحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرقُّ لآلام الخلق ويسعى لإزالتها[.....]، هي كمال في الطبيعة لأن تبلُّد الحسّ يهوي بالإنسان إلى منزلة الحيوان ويسلُبه أفضل ما فيه [.....]، والرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه. "[1]

ليس لعاقل أن يسمع كلاماً عن الرَّحمة وقدرها ومنزلة الاتّصاف بها أولاً ثمَّ قدر التبلد والانحدار الأخلاقي لمن زاغ عن جادَّتها أن تهوي به نفسه درجة الحيوان بل إن الأخير" قد تجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه"[2]. وهذا ثانيا، ثم ما بالك أنْ تعرف أنّ الرَّحمة صفة المولى والربِ عزّ وجلّ !، ليس لعاقل هنا أن يسمع هذا الكلام ولا يحدث في نفسه أثراً أو شيئاً من موعظة.

إنَّ هذا الحديث أيضا هو ما يسميه البلاغيون في باب الإقناع وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمنيا، أفي ظنك ! أن من يحدّثك بادي الرَّأي عن الرَّحمة والاتّصاف بها، أنه سيزجرك عنها أو يوصيك بالتبلد والتحجر في حياتك ... !، ليس هذا طبعاً من شيم من حباهم الله بعقل يرفعهم عن رذائل الأفكار وقبائح الأقوال ،فهذا إذن أول درجات الحجاج العقلي في أن تخاطب العقل وتأثر في النفس، وأما ثاني الدرجات فهو تقديم الأدلة والشواهد .

---

[1] المدونة ،ص 210.

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

لقد أردف الغزاليّ بعد كلامه عن الرَّحمة مباشرة آية قرآنية حملت معها إشراقة الرَّحمة الربانية، فكان من صفات الملائكة للمولى عزّ وجلّ قولهم: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.﴾[1] ،

وهذه من أكمل الآيات التي تصف رحمة الخالق عزّ وجلّ، فكانت كخاتمة حسنة لمقدمته وبداية جيدة ترأس ما بعدها من شواهد فلا أكمل من رحمة الله عزّ وجلّ.

يأتي بعدها "الغزاليُّ" إلى ذكر قصَّة تلك المرأة من السّبي "وقد كانت تسعى قد تحلب ثديها، إذا وجدت صبيًّا في السَبي أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « **أترون هذه طارحةً ولدها في النَّار؟ فقلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه !– قال: فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها** ».[2]

مثال آخر عن الرَّحمة في أكمل صفاتها وأعظم صورها، ونرى أنَّ في هذا المثال استدلالا عقلياً منطقياً ساقه "الغزالي" وكيف بامرأة كانت تبحث عن ولدها فكاد قلبها أن يَذهبْ وعقلها أن يذهلْ أن تطرح به في النَّار بعد أن وجدته. ثم إقامة البرهان بعد سرد هذه القصة حين قال " فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها".

إنّه ترتيب عقليٌّ لأحدَاث منطقية ولعناصر لغوية أقامت حجَّة وبرهاناً سيقنع كل ذي عقل بعيداً عن هواه بأبلغ مثال وأوضح استدلال، ناهيك أن جملة كلّ هذا بداية من التقديم ثم الآية إلى الحديث، هذا يسميه علماء الاتصال والنفس ومن يهتمون بالإقناع وبلاغته "بتأثير البداية أو تأثير عكس الذُّروة"، حيث توضع الحجج الأقوى في البداية، لتسلب انتباه كل قارئ أو متلق وليس هذا قانوناً عاماً فترتيب الحجج في عمليَّة الإقناع مع مُراعاة التدرُّج، هذا يتوافق ويتماشى وكل رسالة على حدة. ثمَّ لا يخفى ما للأسلوب اللغوي والتركيبي من أثر على المتلقي.

---

[1] سورة غافر، الآية 7.

[2] الشيباني عبد الرحمان بن علي ، تيسير الوصول إلى جامع الأصول، تح حامد عبد الله، المجلد2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012 ص114.

شيء آخر لمسناه في قضية الحجاج العقلي، إنَّه الإستدراج نعم فالتَّدرج و الإستدراج من آليات الإقناع و هذان الأسلوبان فيما نعنيه هنا لا يخرجان كثيرا "عن المعنى اللُّغوي فكما أن السُلَّم و الدَرج في معناه العملي و التطبيقي يعني إنتقال المرء من أسفل الدّار إلى الدَّرجة الأولى ثمَّ الثانية فالثالثة ثمَّ إلى التّي تليها حتى يصل إلى أعلى السُلَّم ويتمكن من استعلاء الدار بواسطة هذه الآلة التي تراعي طاقته البشرية وحدود قدرته،إذ لا يتمكن بدونها أن يقفز إلى أعلى السطح فكذا نعني بأسلوب التَّدرج والإستدراج في عملية الإقناع في أيّ أمر كان"[1]، وهذا ما لمسناه حين ساق لنا الغزاليُّ الحديث الأخير للرَّسول (صلى الله عليه وسلم).

يسترسل "الإمام الغزاليُّ" بعدها في ذكر الأدلَّة والشواهد من قصصٍ وأحاديث وآيات حتى قال آخر ما قال في رواية لحديث للرسول الكريم : «**أنَّ إمرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يُطيف ببئر قد أدْلَع لسانه من العَطش فنزعت له مُوقها * فغُفر لها به** ».[2]

يقول الغزالي : "لئن كنت الرَّحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا، فإن الرَّحمة بالبشر تصنع العجائب "![3]، ولا يخفى ما لهذا أيضاً من تركيب لغوي وجمال تعبيري، نرى به أن جملة درجات الحجاج العقليّ قد استوفت نصابها في هذا المثال وإن كان ذكراً لا حصراً، فالأمثلة في الكتاب عديدة .

---

[1] طه محمد السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي،دار الكتب العلمية،(د ط)، بيروت، لبنان،(دت)، ص 62.

*موقها :خفها.

[2] الشيباني، تيسير الوصول إلى جامع الأصول، ص114.

[3] المدونة ،218.

ثانيا/ الموضوعية والبعد عن الوعظ الذاتي:

إنّ من جملة ما اتَّصف به "الغزاليُّ" في كتابه هذا هو "الموضوعية" في الطرح فقلَّما كان الرجل يتَّجه بالكلام إلى المتلقي مباشرة سواء على سبيل الوعظ أو النقد أو حتى الاتهام.

ونحن نرى أنَّ الاتصاف بالموضوعية خاصة فيما يتعلَّق بأمور الدين والتي غالباً ما تحمل النصح والإرشاد والوعظ والتأديب وغيرها من صنوف الإبلاغ والتَّعليم ،نرى أنّ هذا من جملة ما حواه هذا الكتاب في حمولته "البلاغية للإقناع" ،ولأنَّ التحفظ ربما في مثل هذا المقام لا يسعُ الناس جميعا خاصة أولئك الذين يتصدَّون للمنابر والخطاب، إلاَّ من رجح بهم الفكر والعقل إلى آلة التبليغ دونما إساءةٍ ودونما انتساب لجهة معينة تفضي بالكثير إلى الكيل بمكيالين وبالتالي الخروج عن جوهر رسالة الدّين بالكلية.

يقول الغزالي في باب سلام الصَّدر من الأحقاد:"ليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه، ولا أقرَّ لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرأً من الضَّغينة وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وأحس فضل الله فيها وفقر عباده إليها [.....]،إنَّ الخصومة إذا نمت وغارت جذورها، وتفرَّعت أشواكها شَلَّت زهرات الإيمان الغضّ وأذوت ما يوحي به من حنان الإسلام وعندئذ لا يكون في أداء العبادات المفروضة خير ولا تستفيد النفس منها عصمة".[1]

يسعى "الغزاليُّ" في مقدمة هذا الباب إلى أن يسوق لنا ما يريح النفس ويجنّبها عناء النَّقيصة أياً كانت ، فلا يأتي إلى تقديم هذه الأمور الأخلاقية، والتي هي تحت شعار "إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق" لايقدمها جافة أو ربما صارمة كما نزل بها الوحي أو كما تحدث بها النبي (عليه الصلاة والسلام) ، بل إنَّه يحاول تَفتيتها للقارئ بشكل علميّ وبشكل منطقيّ ويسوق بذلك كثيرا من الصور البيانية التي تليّن الموضوع . إنه التفسير الديني و الجمالي حتى ، ليعطي مثلا "لتعبير ثوران الأحقاد"كنقيصة يعطيها ما يقابلها من النّعمة والفضيلة..، والموضوعية هنا قد تكمن في أن "الغزاليَّ" أراد بذلك

[1] المدونة ،86-87

تقديم النموذج المقنع لأيّ كان، بتحليل هادئ و رزين يَنظر من خلاله إلى الخُلق من جميع الجوانب، ليُثبت بذلك أنَّ هذه الأخلاق والفضائل منبعها الإيمان ، وإلاَّ فالعربيُّ في جاهليته كانت له أخلاق أيضا.

ثم إنّ الغزالي لم يبدوا أَنَّه يقف على المنبر ليرسل خطابات و رسالات مباشرة لمتلقيه، وكأنَّه متعصب للدّين أو لجهة معيَّنة ، ليكون هذا أحد وجوه الموضوعية ربما على اعتبار أنّ الخِطاب غير وعظيّ وهذا ما لاحظناه لأنَّ الوعظ يستدعي الأسلوب الإنشائي(وصيغ الأمر والنهي،والاستفهام والنداء وغيرها...)،لكنَّه يقف موقف العالم الذي يحلّل بأناة فنّيات الأخلاق أو أخلاقيات الإيمان إن صحَّ التعبير.

"إنَّ فطرة الإنسان خيّرة وليس معنى هذا أنه ملاك لا يحسن إلاّ الخير بل معنى ذلك أنَّ الخير يتواءم مع طبيعته الأصلية وأنّه يُؤثر اعتناقه والعمل به كما يُؤثر الطَّير التَّحليق إذا تخلص من قيوده وأثقاله.

فالعمل الصحيح في نظر الإسلام هو تحطيم القيود وإزالة الأثقال أولاً فإذا جثم الإنسان على الأرض بعدئذٍ ولم يستطع سموا نُظر إليه على أنه مريض ثمَّ يُسّرت إليه أسباب الشفاء".[1]

يتحدَّث الغزاليُّ في كلامه هذا عن الفطرة السليمة للإنسان وهذا مقتّطف من باب عنونه "بالحدود على الجرائم الخُلقية" لكن الملفت للنَّظر هنا أنَّ "الغزاليَّ" اعتمد في شرحه وكلامه على تقرير بعض الحقائق، ملابسا حديثة بروح فكرية وعلمية بسط فيها آراءه دونما الرجوع إلى الاستشهاد وهذا الملاحظ هنا بالضَّبط حيث أن "الغزاليَّ" لم يستعن على الأقل في الصفحة الأولى من هذا الباب بأي شاهد أو دليل من القرآن أو السُنَّة . ثم أنَّه لا يطلق كلامه من مقام العلو و الوعظ، بل وكأنَّه يخبرنا ويقرّر لدينا حقيقة أصل الإنسان وفطرته من خلاصة تجربته هو وكأنَّ الحديث عن الفطرة السليمة للإنسان أمر لا غبار عليه، لكنَّ الذي يصبو إليه " الغزاليُّ" من كلامه هذا هو ربما إشعار المتلقي بمسؤوليته ودوره في حياته على امتلاكه للمنشئ الحسن واتصافه بالجبلَّة

[1] المدونة، ص 28

والفطرة السليمة..،ولا نريد أنْ نُعرّف بالرجل أكثر مما شُهر عنه لكنَّنا نرى أنَّ هذه صفة العالِم الحق،إنه يمزج فكرا وعلما وبلاغة في وعاء واحد فنجده موضوعيا حين الموضوعية ونجده فكريا منطقيا حين يتطلب الأمر المنطق وواعظا حين يتطلب المقام الوعظ.

ثم إن مراعاة أحوال الناس ومخاطبتهم بما يعلمون والاحتكام إلى العقل والحقيقة أمر يرتاح له الناس ويساعد في بناء الأفكار لديهم والاقتناع بها.

ثالثا/ الصورة الأدبية:

إنّ للُّغة قيمة جوهرية، في حياة كل أمة فهي مرآة ثقافتها، وأداة تواصلها وأصل تطوُّرها ودائما ما كانت اللُّغة "قلب الأمة النَّابض وجهازها المحرَّك، وثيقة تعريف وأداة تشريف"[1].

واللغة العربية وثيقة الأواصر بهذه الأمة سيّدة اللغات، موغلة في القدم لم تأتي من العدم، حباها الله بالقرآن وشرَّفها به. فكانت ديوان حضارة، وخزّانا ثقافيا وفكريا لا يصدأ معدنه ولا ينتهي منبعه.

وكانت "لهجات القبائل العربيَّة في القديم، قد تفاعلت فيما بينها وتكاملت في لهجة قريش الَّتي كانت مركز حضارة اقتصادية واجتماعية وحتَّى دينيةٍ، تأتيها الوفود من كل حدب وصوب وقد كان العرب أهل فصاحة وبيان، يفِدون إلى مكَّة للمفاخرة والتَّنافس في الخطابة والشعر وغيرها من الفنون"[2].

وكعادة الأمم قبلنا أنزل الله عزَّ وجلَّ معجزة "القرآن الكريم" لتكون حجة على هذه الأمة وغيرها من الأمم إلى قيام الساعة.

أنّ صناديد قريش وفحول العرب فصيحهم وبليغهم ، ذوت معالم الفحولة والفصاحة والبلاغة لديهم أمام بيان القرآن وسِحره وخَفت بريقها بإعجازه لتَذلَّ له

[1] موقع شبكة الألوكة، http://www.alukah.net/literature_language/0/21488، بتاريخ :2017/05/09،الساعة : 21:45.
[2] ينظر المرجع نفسه، بتاريخ :2017/05/10،الساعة : 10:00.

الرّقاب طوعا و كرها،و لترقى هذه الأمة ودينها وكل معالمها بالقرآن، وتُحفظ من الضَّياع والانسلاخ والذوبان.

تفرعت علوم اللُّغة العربية بعدها إلى نحو وبيان وبلاغة وغيرها..، ولعلَّنا سنخص بعض صور البيان(كالتَّشبيه والاستعارة والكناية)، بشيءٍ من الذّكر والتَّمثيل لما لها من قاعدة بلاغية وحجاجية نرى توافقهما وموضوع بحثنا.

1/التشبيه:

هو "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح، فاعلم أنه "مما اتفق عليه العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فنّ البلاغة ، وأنّ تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك"[1]، ويقول السكاكي في السياق ذاته "ولا يخفى عليك أن التشبيه مستدعٍ طرفين، مشبهاً ومشبها به واشتراكا بينهما هو وجه الشبه".[2]

هذا تعريف للتشبيه باختصار ولن نُدغِل في التفاصيل كثيرا وقد ركز" الغزاليُّ" على مسألة الصور البيانية في كتابه وذلك لما تحمله من جمال فنيّ وتصويرٍ أدبي يثري المبنى ويوصل المعنى وينتهي بإحداث الأثر في المتلقي.

يقول الغزاليُّ:"فليستمسك الإنسان بعرى السَّماحة، وليسارع إلى سداد ما يلقاه من ثغرات، ولينظر إلى المحتاجين الذين يقصدونه،إن بذل اليوم القليل سيرجع غداً أو بعد غد بالكثير"[3]

ففي عبارة (فليستمسك الإنسان بعرى السماحة) تشبيه بليغ من باب إضافة المشبه "السماحة" إلى المشبه به عُرى وفي هذا قوة إيضاح للمعنى ،حين جعل من خُلق اللّين والرَّحمة وكذا الجود والكرم، جعلها بمثابة علاقات توثق الصِّلاة بين الإنسان المؤمن وأخيه فلا انفصام لها لأنها تنبع من عقيدة الإيمان.

---

[1] القزيوني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،لبنان،2002، ص164.

[2] المدونة، ص126.

[3] السكاكي محمد بن علي ، مفتاح العلوم، تح نعيمة زرور،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،لبنان،1983،ص 332.

كما أنّ هذا التَّشبيه في فعل التَّمسك أو الاستمساك جاء كحجَّة لنتيجة تنجم عنه فيما بعد وهي أن مقدار البذل سيرجع لا محال له غداً أو بعد غدٍ.

ولا تخفى بلاغة هذه الصورة ووزنها الإقناعيُّ ناهيك أنها تشير إلى عظم التّجارة مع الله وتحثُّ عليها، وأي تجارة أجلّ قدرا وأعظم ذُخرا من التجارة مع الله.

كما نلحظ معالم الإقناع في ثوب البلاغة مع مثال آخر ساقه "الغزاليُّ" حين قال:"والإسلام يكره أولئك الَّذين يعيشون في الدنيا أذناباً تغلب عليهم طبائع الزُّلفى والتهافت على خيرات الآخرين ويحبون أنْ يكونوا في هذه الدنيا كالثعالب التي تقتات من فضلات الأسود".[1]

إن ما حملته صيغة (والإسلام يكره ... أذنابا ..كالثعالب) تشبيه يصور ميوعة هؤلاء وانسلاخهم من الفطرة البشريَّة السليمة ويوضّح شراسة من غاب عنه الضمير الإيماني كيف يتحول إلى ضار من الضواري يستخدم المخلب والناب بالسطو والتطفل والانتهازية لمن تحركهم غرائزهم فهم كالثعالب.ثمَّ إنَّ المشبَّه به (أذنابا و الثعالب) ،لهما من الدلالة في قوة ايضاح استحكام الغرائز الحيوانية بعيدا عن رقابة الدين وتحكم الإيمان الشيء الكبير.

2/ الكناية:

لون من ألوان البيان وقد عنيَّ بها علماء البلاغة والنُّقاد وعرفوا لها مكانتها في الإيضاح والتأثير، فقد قال عنها السكاكي:" أنَّها ترك التَّصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه. لينتقل من المذكور إلى المتروك".[2]

أمّا الجرجاني فقال: "المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللَّفظ الموضوع له واللّغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِفه في الوجود فيومئ به

[1] المدونة، ص107.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، ص402.

إليه، ويجعله دليلا عليه كقوله "هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة وكثير رماد القدر كثير القرى."[1] ،وهي أيضا: "لفض أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ".[2]

يعتمد "الغزاليُّ" على الكناية في كلامه من حين إلى آخر وربما كان يلجأ إلى توظيف هذا الوجه من البيان كي يوصل القارئ إلى عمق المعنى بغية إقناعه، بتحريك آلية الفهم والتأويل لديه ففي قوله مثلا "..أجل يجب أن يكون المسلم شاعرا بقوة اليقين في شخصه وروعة لإيمان في نفسه إن لم يستطع فرض ذلك على ما حوله بقي كالطود الأشمّ لم تجرفه الغمار السائدة ،ولم تَطوه اللُّجج الصاخبة."[3]

لعلَّ الإمام "الغزاليَّ" من باب الكناية يُكنّي عن موصوف هام هو " الفتن والابتلاءات" التي إن لم يتمسك المؤمن في خِضمها بعروة الإيمان و اليقين ،جرفه طوفانها فهو هالك ،وقد صورة الكناية ذلك بقوة إيحاءاها عما يكتنف المسلم من تشويش وصعوبات مسعورة مختلطة الألوان والأصوات (اللُّجج الصاخبة)،إنها قوة الإيحاء و الغموض ربما الذي يعطي المعنى وزنا و بعدا آخر يجعل من القارئ يسبح في معترك التأويل.

وفي قول "الغزالي" أيضا :"و إن غُلب على أمره أمامها بعد استفراغ جهده كان ركونه إلى الله عندئذ معاذا يعتصم به من غوائل الانكسار " وهنا يُكنّي عن صفة ربما هي "المجاهدة و المقاومة " الذاتية التي تجعل من المؤمن يكابد و يعاند إلى آخر رمق.

تحضُر مرة أخرى قضية الإيحاء التي حملت أثرا على المعنى تمثل في قوته وعلى المبنى في شدَّة لحمته .

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تح محمد شاكر، (د.ت)، ص66.

[2] القزيوني، الإيضاح في علوم البلاغة،ص241.

[3] المدونة، ص 101.

3/ الاستعارة :

يقول عادل عبد اللطيف: " لقد ذكر السَّكَّاكي قضية البعد الإقناعيّ للصور البيانية فالبيان يُبنى بالدليل و ليس بالتحسين الأسلوبي، ثم إنّ معرفة كيفية نظم الدليل ضرورية لمن يتوخى إتقان بناء التشبيه أو الاستعارة أو الكناية "[1] ولأن الحجاج والبلاغة قسيمان رديفان عند كثير من البلاغيين فوراء كل بلاغة حجاجا ووراء كل حجاج بلاغة "يدافع السَّكاكي عن بلاغة مقامية مقصدية تقوم على الاستدلال خدمة للنجاعة الإقناعية"[2].

وقد ذكر "التّفتزاني" عن الاستعارة أنها مجاز تكون علاقته المشابهة.يقول: "واعلم أنهم اختلفوا أن الاستعارة مجاز لغوي أو عقلي، فمن يقول من الجمهور أنها مجاز لغوي أي بمعنى أنها لفظ استعمل في غير موضع له بغير مشابهة[3]، وهي أيضا "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[4].

لقد أصبح واضحا قدر وقيمة الاستعارة في قضية بناء الدليل وإقامة الحجة"فقد أورد الباحثون الاستعارة في المقام الأول في الحجاج لأن المرسل يلجأ إليها لتحقيق أهدافه"[5]، وإذا عدنا إلى "خلق المسلم" للغزالي نجد أنه يتوفر على هذه الآلية البلاغية وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج المتعلقة بالاستعارة وقوة الإقناع فيها.

ففي قول الغزالي: "إنّ الإيمان القوي يلد الخلق القوي وإن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان"[6] استعارة مكنية، كأن "الغزالي" يتمثل الأخلاق فيها صرحا متينا وحصنا حصينا يصد الرَّغائب عن النفس ويمنعها الاقتحامات وسهام الشهوات، حتى إذا تهاوى وتصدَّعت أعمدته حدث الخراب لجهاز الإيمان. وقد جسَّدت هذه الاستعارة في بلاغة راقية ما للأخلاق من قوة حماية الدين وحماية العقيدة.

---

[1] عادل عبد اللطيف، بلاغة الاقناع في المناضرة،ص78.

[2] المرجع نفسه، ص79.

[3] التفتزاني مسعود بن عمر،مختصر المعاني،المجلد1،مكتبة البشرى،ط1،كراتشي،باكستان،2010،ص105.

[4] القزويني، الايظاح في علوم البلاغة، ص212.

[5] حسين بو بلوطة، الحجاج والاقناع والمؤانسة، ص92.

[6] المدونة،ص126.

أما ما يتعلق بالصورة في حد ذاتها فلا يخفى أنّ استعمال الاستعارة أقوى حجة وإقناعا من الأقوال العادية لتتمثل قضية الإقناع وبناء الدليل في أنّ قوة الإيمان الذي يختلج النفس وشمسه التي تنير أركانه ،لا تقاس البتة بشمعة سرعان ما تذوب ويأفل بريقها.

صورة أخرى تجسّد لنا قوة الاستعارة ومكانتها في الإقناع دونما ابتعاد عن حلة البلاغة أو تخلّ عن ديباجها، يقول "الغزاليُّ" في باب الحلم والصفح: "لكنّ هناك مسلكا أنبل من ذلك وأرضى لله وأدلّ على العظمة والمروءة...أن يبتلع غضبه فلا ينفجر وأن يقبض يده فلا يقتص..."[1]

وفي هذه الاستعارة تجسيد لكظم الغيظ، وكيف أنّ المؤمن بسعة صدره وحلمه يحتوي الانفعال الجارف في ذروته وحرارته، وقد شبهه بالشيء الذي يزدرد بسرعة ليرمي به إلى الجوف وقرار بعيد فلا يسمع للغضب صوت، فتنتصر السكينة والرزانة وهذا تشخيص للحلم عند المؤمن الذي يثبت أمام الاستفزاز.

لقد حملت هذه الاستعارة في طياتها معنى عظيما تجلَّى في ابتلاع الغضب وإخماد ثورته، ولم تكن هذه الاستعارة إلاَّ لتُعطي المعنى بعداً آخر جماليا وفنيا وخياليا حتى، يجعل القارئ يرتسم صورة هذا الابتلاع الذي انهال على الانفعال فلم يترك له بُدّاً من ظهور.

[1] المدونة، ص114.

خـــاتمـــــة

لقد أتاحت لنا رحلة البحث بالرغم من تداخل بعض الخيوط فيها، تجميع بعض الخلاصات التي يمكن إقرارها بوصفها مخرجات البحث ،خلاصات و نتائج كانت مزدوجة تخص الخطاب البلاغي من جهة ، ومن جهة أخرى تخص الإقناع حجاجيا كان أم بلاغيا.

ولا يخفى التداخل التاريخي ولا حتى الشكلي والضمني للبلاغة والحجاج ،كما خصصنا المدونة و صاحبها بشيء من النتائج ويمكن إجمال هذه النتائج في :

ـ إنّ قوة البلاغة تكمن في ارتباطها بالإقناع ذلك ما دلّت عليه ظروف ميلادها وعصور ازدهارها وكذلك عودتها المظفّرة منذ خمسينيات القرن الماضي .

ـ إنّ الاتكاء على الخلفية الغربية و العودة إلى أنساقها البلاغية قد أتاح الوقوف عند الطابع البلاغي لهذه الأنساق .

ـ إنّ حيوية البلاغة ووهجها اليوم يأتي وفق ما انتهت إليه جهود البحث من المجالات الجديدة و المتعددة التي تشتغل فيها ومن توسعها المنشود بالكثير من المعارف (كالفلسفة و النحو و غيرها..) ثم خروجها من المجال الضيّق الذي طالما اختزلها في الحِلية والصور ومحسنات الأسلوب.

ـ الحضور الخصب لبلاغة الإقناع في التراث العربي الإسلامي، فهي لم تكن حكرا على المدونات الغربية فقط لتكون إسهامات الجاحظ وابن وهب والسَّكَّاكي وغيرهم تعبيرا مؤسسا وواعيا عن هذا الحضور و إن كنَّا قد بخسنا الدور العربي حقه في هذا البحث ،بسبب ميلنا إلى استنطاق المدونة على حساب الجانب النظري.

ـ إنّ حضور الآليات والإستراتيجيات الخاصة بالإقناع كان واضحا في المدونة وقد حقق ثراءً وأثرا في متن المدونة وأهدافها.

_ لاحظنا أنَّ الحجاج العقلي آلية بلاغية تعتمد على تقديم أكبر عدد من الحجج الدقيقة و المنطقية والمختارة بعمق لتترك أثرها على المتلقي ،وهو آلية ركز على استثمارها الإمام الغزالي في متن خلق المسلم.

_ أسلوب " الغزالي" اتسم بالنظرة الشاملة و الطرح الموضوعي وقد تجلَّى هذا بشكل واضح في نظرنا في سطور و نصوص الكتاب.

_ التحليل العلمي و الجمالي لفنيات الأخلاق أو أخلاقيات الإيمان، بعيداً عن مقام الوعظ المباشر.

_ برز الاتكاء على الجانب البلاغي بتكثيف حضور الصورة الأدبية والخيال الفكري.

_ لاحظنا اعتماد الاستشهاد بالرجوع إلى الكتاب والسنَّة ،دون الرجوع إلى أقوال العلماء وآراء الفقهاء .

_ سهولة الأسلوب وليونة المأخذ وبراعة التركيب و الإستقطار من القرآن والسنة ضمنا ولفظا.

لا نزعم في الأخير أننا قد أحطنا بكل حيثيَّات الموضوع فهذا شيء صعب ، لكننا نقرُّ أنَّنا حاولنا جاهدين الوصول وإن إلى بعض العتبات الرئيسة وملامستها والاقتراب من جوهر الرسالة البلاغية و الإقناعية ، ليبقى المجال مفتوحا للبحث في الأدب الدعوي فكل يؤخذ من علمه ويرد إلاّ كتاب الله.

قـــائمـــــة

المـصادر و المراجـع

*__القرآن الكريم__ ،نسخة إلكترونية بالرسم العثماني توافق مصحف المدينة،جامعة الملك سعود.

أولا/ المصادر:

أ –

1. البخاري محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري،دار ابن كثير، ط1،دمشق ،بيروت 2002.
2. البخاري محمد بن اسماعيل ،الأدب المفرد، تح ناصر الدين الألباني،دار الصديق ،ط2 بيروت ،لبنان،2000.
3. الترمذي محمد بن عيسى ،الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، تح محمد شاكر دار إحياء التراث العربي،الجزء3، بيروت، لبنان، (د ت).
4. ابن حجر العسقلاني، جواهرصحيح البخاري، تح عز الدين السيروان وعبد القادر الغزاوي، دار إحياء علوم الدين،ط1، بيروت، لبنان، 1991.
5. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تح محي الدين عبد الحميد،المجلد1،دار الفكر،الجزء الأول،(د ت).
6. الشيباني عبد الرحمان بن علي ، تيسير الوصول إلى جامع الأصول، تح حامد عبد الله المجلد2، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،2012.
7. مالك بن أنس، الموطأ، تح سعيد محمد اللَّحام ، دار إحياء العلوم ،ط2، بيروت، لبنان، 1990 .
8. مسلم بن الحجاج أبو الحسين ،صحيح مسلم،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، مصر (د .ت).
9. المنذري الحافظ،صحيح الترغيب والترهيب، تح ناصر الدين الألباني، المجلد1، مكتبة المعارف ط1،الرياض،السعودية،2003.

ب –

1. ابن الأثير ضياء الدين ،المثل السائر،ج2،تح أحمد الحوفي،أحمد طبانة،دار نهضة مصر،(د.ط) ،القاهرة، مصر، 2008.
2. التتفتزاني مسعود بن عمر ،مختصر المعاني،المجلد1،مكتبة البشرى ،ط1،كراتشي باكستان ،2010.
3. الجاحظ عمر بن بحر ،البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مجلد1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2008.
4. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز،تح محمد شاكر،(د.ط)، (د ت).
5. الخطيب القزيوني، الإيضاح في علوم البلاغة،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت لبنان،2002.
6. محمد الغزالي،خلق المسلم،دار الريان للتراث،ط1،القاهرة،مصر،1987.
7. السكاكي محمد بن علي ، مفتاح العلوم، تح نعيمة زرور،دار الكتب العلمية ، ط 1 بيروت،لبنان،1983.

ثانيا/ المراجع:

1. جميل الحمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة،(د.ط)،(د،ت).
2. جيمس بورخ، الإقناع، مكتبة جرير، ط1،الرياض،السعودية، ، 2009.
3. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته،الجزء الأول،عالم الكتب الحديث، (د.ط) إربد،الأردن،2010.
4. حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، الأردن،2014.
5. طه محمد السبعاوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي،دار الكتب العلمية ،(د.ط) بيروت،لبنان،(د.ت).

6. عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط1،الرباط، المغرب، 2013.

7. علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع، دراسة مقارنة، دار الصفوة، ط1، بيروت، لبنان، 1994.

8. عمارية حاكم،بلاغة الخطاب الإقناعي، دار العصماء، ط1، ، دمشق، سوريا، 2015.

9. لطفي عبد البديع، التركيب النحوي للأدب، دار المريخ، الرياض (السعودية)، 1989.

10.عبد الله صولة،الحجاج في القرآن،دار الفرابي،ط1،بيروت،لبنان،2001.

11.عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، دار الجنوب ، ط1 ،تونس ، 2011.

12.محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق،ط2،الدار البيضاء،المغرب 2002.

13.هادي بن ظافر الشهري،إستراتيجيات الخطاب،دارالكتب الجديدةالمتحدة ،ط 1،بنغازي ليبيا،2004.

ثالثا/ القواميس والمعجمات:

14.أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد A-G ، منشورات عويدات ، ط2 بيروت لبنان،2001.

15. الشريف الجرجاني ،معجم التعريفات،تح صديق المنشاوي،دار الفضيلة ،(د.ط) ، القاهرة مصر،1993.

16.المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية، (د.ط)،(د.ت).

17.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، طبعة جديدة، المجلد11، ، بيروت، لبنان،(د.ت).

رابعا/المجلات والدوريات:

18.معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الدوحة ،قطر 2003 .

خامسا/ المذكرات والرسائل الجامعية:

19. أمينة مرقيق، بلاغة الخطاب المكتوب، رسالة مقدمة دكتوراه علوم في علوم اللسان العربي، محمد خان، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيذر،بسكرة، 2014/2013.

20. حسين بوبلوطة، الإمتاع في الحجاج والمؤانسة،إسماعيل زردومي،قسم اللغة العربية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2010.

21.خالد حسين حمدان ، الإقنـاع أسسه وأهدافه،في ضوء أسلوب القرآن الكريم، كلية أصول الدين،الجامعة الاسلامية غزة، (د.ت).

سادسا/ مواقع الانترنت:

22.شبكة الألوكة، http://www.alukah.net/literature_language/0/21488 بتاريخ :2017/05/09،الساعة : 21:45.

الفهـــرس

الفهرس:

مقدمة	أ.ب.ج
مدخل: بحث في مفهوم الإقناع وبلاغته.	5
1. مفهوم الإقناع.	6
1.1 لغة.	6
2.1 اصطلاحا.	7- 8
2. البلاغة الجديدة: بيرلمان وانبعاث بلاغة الإقناع.	13-15
3 . آليات الإقناع.	15
1.3 وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمنيا.	15 – 16
2.3 تقديم الأدلة والشواهد.	17
3.3 ترتيب الحجج الإقناعية داخل الرسالة.	18
4.3 استخدام الاتجاهات والاحتياجات لدى الجماهير.	19
5.3 التكرار.	20
4. استراتيجيات الإقناع.	20
1.4 الإستراتيجية الدينامية النفسية.	20 – 21
2.4 الإستراتيجية الثقافية الاجتماعية.	21
3.4 إستراتيجية بناء المعاني.	21 – 22
الفصل الأول : المحاور الدلالية في بلاغة الإقناع.	25
أولا/ محور العقيدة.	25
1 . أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق.	25 – 28
2. ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان.	28 – 30
ثانيا/ محور الأخلاق.	30
1. الصدق والأمانة.	30 – 39
2. الحلم والصفح.	39-43
3. أدب الحديث.	43- 50

الفهرس العام:

الفصل الثاني: بلاغة الإقناع بالأسلوب.	52
أولا/ الحجاج :	53
1. تعريفه :	53
1.1 لغة.	53
2.1 اصطلاحا.	54
2. الحجاج في الفكر العربي القديم.	54
1.2 الجاحظ.	55
2.2 ابن حزم الأندلسي.	55
3. ضوابط النص الحجاجي.	56
4. خصائصه.	57
5. الحجاج العقلي.	58 - 61
ثانيا/الموضوعية والبعد عن الوعظ الذاتي.	62 - 64
ثالثا/الصورة الأدبية.	64 - 65
1. التشبيه.	65 - 66
2. الكناية.	66 - 67
3. الاستعارة.	68 - 69
خاتمة.	71 - 72
قائمة المصادر والمراجع.	74 - 77
الفهرس.	79 - 80

الملخص :

أتاحت لنا دراسة موضوع بلاغة الإقناع في الأدب الدعوي (دراسة نقدية) في كتاب خلق المسلم"لمحمد الغزالي"، الوقوف على القاعدة التاريخية لميلاد بلاغة الإقناع ومعرفة آلياتها واستراتيجياتها مع بيان الأثر الجمالي والفني للصورة الأدبية وكذا براعة الأسلوب في تركيب الخطاب البلاغي والحجاجي ، ثم تأثير كل هذا في تقديم المادة الدعوية لننهي البحث بتجميع بعض النتائج والخلاصات.

This study of eloquence persuasion in prophetic literature (Critical study) in the "ethic of muslim "book of Mohammed Elghazali give us an apportunity to stand on the history that gave birth to this literature in order to understand its strategies and mechanism . Also it makes clear the aesthetic and artistic effect of the literary image and the tact style in building the eloquent argumentative speech. At last the effect of all this in the presentation of the prophetic subject. Let's finish the search by combining some results and summaries.